بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الولي بين مؤيديه ومعارضيه، دراسة حديثية موضوعية

ملخص

كثر الاختلاف حول الولاية في هذه الأيام خصوصا أنّ البعض استغل هذا الحديث ليثبت أمورا لم يأت بها الشارع وألزم الناس بها، وبالمقابل كان الاتجاه الآخر أكثر تشددا في هذا الأمر حيث أنكروا الأمر جملة وتفصيلا؛ حتى أدى بهم الأمر إلى إنكار الحديث الوارد في هذه المسألة، والانتقاص من مكانة وأحاديث الصحيحين، لذلك أردت أن أجلّي هذه المسألة، مبينا التعريفات والمقدمات لحديث الولي ومن ثم أناقش الحديث سندا ومتنا مستعينا بالأدلة وأقوال الأئمة في هذه المسألة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمين على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

يقول الله تعالى: {ألا إنّ أوْلياء اللّه لا خوْفٌ عليْهمْ ولا همْ يحْزنون * الّذين آمنوا وكانوا يتّقون * لهم الْبشْرى في الْحياة الدّنْيا وفي الْآخرة لا تبْديل لكلمات اللّه ذلك هو الْفوْز الْعظيم} (يونس:٦٢-٦٤)

وعنْ أبي الدّرْداء قال: أتاه رجلٌ فقال ما تقول في قوْل اللّه {لهم الْبشْرى في الْحياة الدّنْيا وفى الآخرة} قال: لقدْ سألْت عنْ شيء ما سمعْت أحداً سأل عنْه بعْد

رجلٍ سأل عنْه رسول اللّه (ﷺ) قال: «بشْراهمْ في الْحياة الدّنْيا الرّؤْيا الصّالحة يراها الْمسْلم أوْ ترى له وبشْراهمْ في الآخرة الْجنّة».(١)

وقد ذكر الله تعالى أن هناك أولياء للرحمن وأولياء للشيطان، وأمرنا أن نكون من أولياء الرحمن، وقد ذكرت الولاية في القرآن والسنة، وورد فيها حديث صحيح مشهور أورده البخاري في صحيحه فعنْ أبى هريْرة قال قال رسول اللّه (ﷺ):« إنّ اللّه قال منْ عادي لي وليًّا فقدْ آذنْته بالْحرْب... الحديث»(٢).

هذا وقد قام العلماء بشرح هذا الحديث، وهم كلّ شرّاح البخاري، وقام العلامة ابن رجب الحنبلي بشرحه في "جامع العلوم والحكم"، وشرحه شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"(٣)، وأفرده الإمام الشوكاني بكتاب ضخم سماه "القطر الجلي شرح حديث الولي".(٤)

وقد رأيت أن أقوم بجمع خلاصة هذه الشروح والتوفيق بينها، وإضافة ما يلزم إضافته لها، أو التعقيب على بعضها، لاسيما وقد أصبح الاختلاف كبيرا بين المسلمين حول كثير من صفات الأولياء.

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org، حديث: ٢٨٢٩١، وهو صحيح لغيره.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org، حديث: ٦٥٠٢.

(٣) وقد حققه الشيخ علي الشحود ونشره على النت في صيد الفوائد ومشكاة وملتقى أهل الحديث.

(٤) وقد أخذت به رسالة دكتوراه من الأزهر قسم الفلسفة ونشر بكتاب ضخم.

وقد قمت بجمع مفردات مواد هذا الموضوع من مصادرها الأساسية، وقد حكمت على الأحاديث بالصحة والضعف حسب قواعد الجرح والتعديل الموضوعة في هذا الفنّ .

وقد قسمته إلى باب وفصلين وفي كلّ فصل عدّة مباحث:

الفصل الأول: مباحث هامّة حول الموضوع

المبحث الأول: معنى الولاية لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: المبحث الثاني: الأنبياء والأولياء

المبحث الثالث: عصمة الأولياء

المبحث الرابع: هل ما كان معجزةٌ لنبيٍّ كان كرامةً لوليٍّ

المبحث الخامس: التفاضل بين الأنبياء والأولياء

الفصل الثاني: حديث الولي

المبحث الأول: نصّ الحديث وشواهده

المبحث الثاني: حول صحّة الحديث وما قيل فيه والجواب عنه وعن أحاديث الصحيحين

المبحث الثالث: الجواب عن الإشكالات السبعة في هذا الحديث

المبحث الرابع: مفهوم الولاية في القرآن الكريم

المبحث الخامس: معاداة أولياء الله تعالى مؤذنةٌ بالحرب من الله

الفصل الأول: مباحث هامّةٌ حول الموضوع

المبحث الأول: معنى الولاية لغة واصطلاحا

١. في **اللغة** "(ولي) في أسماء الله تعالى: الوليّ هو الناصر وقيل: المتولّي لأمور العالم والخلائق القائم بها ومن أسمائه (ﷻ): الوالي وهو مالك الأشياء جميعها المتصرّف فيها.

قال ابن الأثير: وكأن الولاية تشعر بالتّدْبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي....

وقال ابن السكيت: الولاية بالكسر السلطان و الولاية و الولاية النّصرة. يقال: هم عليّ ولايةٌ أي مجتمعون في النّصرة... وقال الزجاج: يقرأ ولايتهم وولايتهم بفتح الواو وكسرها فمن فتح جعلها من النصرة والنسب قال: والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الولاية لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصّناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصّناعة نحو القصارة والخياطة فهي مكسورة. قال: والولاية على الإيمان واجبة {المؤمنون بعضهم أولياء بعض} وليٌّ بيّن الولاية ووالٍ بيّن الولاية...

والوليّ: الصّديق والنّصير. قال ابن الأعرابي: الوليّ التابع المحب وقال أبو العباس في قوله: "منْ كنت موْلاه فعليّ مولاه أي من أحبّني وتولاّني فلْيتولّه".

والموالاة: ضدّ المعاداة والوليّ: ضدّ العدوّ ويقال منه تولاّه. وقوله (ﷻ): {فتكون للشّيطان وليّاً}. قال ثعلب: كلّ من عبد شيئاً منْ دون الله فقد اتّخذه وليّاً. وقوله (ﷻ): {الله وليّ الذين آمنوا} قال أبو إسحاق: الله وليهم في حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هدايةً كما قال (ﷻ): {والذين اهتدوا زادهم هدى} ووليّهم أيضاً في نصرهم على عدوّهم وإظهار دينهم على

دين مخالفيهم وقيل: وليّهم أي يتولّى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم. والولاء: الملْك. والموْلى: المالك والعبد والأنثى بالهاء. وفيه موْلويّةٌ إذا كان شبيهاً بالموالي. وهو يتموْلى علينا أي يتشبّه بالموالي وما كنت بموْلىً وقد تموْليْت والاسم الولاء. والموْلى: الصاحب والقريب كابن العم وشبهه. وقال ابن الأعرابي: الموْلى الجار والحليف والشريك وابن الأخت. والوليّ: الموْلى. وتولاّه: اتّخذه وليّاً وإنه لبيّن الولاة والولْية والتّولّي والولاء والولاية والولاية. والولْي: القرْب والدّنوّ ..."(١)

٢. الولاية اصطلاحا: ولاية اللّه تعالى:-

مفهوم ولاية الله تعالى: ذكر ابن القيم أن ولاية الله تعالى نوعان: عامة، وخاصة(٢).

فأما الولاية العامة: فهي: ولاية كل مؤمن، فمن كان مؤمنا، لله تقيا، كان الله له وليا. وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه.(٣)

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج١٥، ص٤٠٥، وابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت: ١٩٧٩م، ج٥، ص٥١٠، والزّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج١، ص٥٧-٨٦.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة: من ١٤٠٤ه، ١٤٢٧هـ، ج٤٥، ص١٧٥،

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى=

يدل على هذا قوله تعالى: {إنّ أوْلى النّاس بإبْراهيم للّذين اتّبعوه وهـذا النّبـيّ والّذين آمنواْ واللّه وليّ الْمؤْمنين} (سورة آل عمران: ٦٨)، وقوْله سبْحانه: {اللّه وليّ الّذين آمنواْ يخْرجهم مّن الظّلمات إلى النّـور والّـذين كفـرواْ أوْليـآؤهم الطّاغوت يخْرجونهم مّن النّور إلى الظّلمات أوْلئك أصْحاب النّـار هـمْ فيهـا خالدون} (سورة البقرة:٢٥٧).

وفي هذا النوع من الولاية قال ابن تيمية: "فالظالم لنفسه من أهل الإيمـان معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقـدر فجـوره، إذ الشخص الواحد تجتمع فيه الحسنات المقتضية للثـواب والـسيئات المقتـضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله (ﷺ) وأئمة الإسلام وأهل السنة".(١)

وأما الولاية الخاصة: فهي القيام لله بجميع حقوقه، وإيثاره على كل ما سواه في جميع الأحوال، حتى تصير مراضي الله ومحابه هي همه ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه وإن سخط الخلق".(٢)

=الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، ج٣، ص١٠٦، وانظر حاشية المدابغي على فتح المعين لابن حجر المكي، ص٢٦٩، وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني، ص١٠٣.

(١) البعليّ، محمد بن علي، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق: محمـد حامـد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٥٨٨، والتحفة العراقية في أعمال القلوب، ص ١٥ وما بعدها، وابن تيمية، مجمـوع فتـاوى موقـع الإسلام، http://www.al,islam.com ج٢، ص ٣٤٥،.

(٢) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٣، ص ١٠٧.

وفي هذا النوع من الولاية يقول الشوكاني: "الولي في اللغة: القريب. والمراد بأولياء الله: خلص المؤمنين، لأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته".(١)

وقد تنوعت تعريفات العلماء لهذه الولاية، فقال الغنيمي الميداني: "الأولياء جمع ولي، بوزن فعيل (بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول)، أو بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم. قال ابن عبد السلام: وكونه بمعنى فاعل أرجح، لأنّ الإنسان لا يمدح إلاّ على فعل نفسه، وقد مدحهم الله تعالى. فعلى الأول يكون الولي من تولى الله (ﷻ) رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسه، كما قال سبحانه: {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} (سورة الأعراف: ١٩٦).

وعلى الثاني يكون الولي من تولى عبادة الله وطاعته، فهو يأتي بها على التوالي، آناء الليل وأطراف النهار. ويجنح إلى هذا ما عرفه به السعد في "شرح العقائد" حيث قال: هو العارف بالله حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك باللذات والشهوات".(٢)

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ، ج٢، ص٤٣٦.

(٢) الغنيمي الميداني، شرح العقيدة الطحاوية، ص١٠٣، وانظر السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج٢ ، ص٣٩٢، والمحلي على جمع الجوامع وحاشية العطار عليه، ج٢، ص٤٨١، والجرجاني، التعريفات، ص١٣٢، وكشاف اصطلاحات الفنون، ج٢ ، ص ٥٢٨، وابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، الصحيح، ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١١، ص٣٤٢، وابن شرف للنووي، بستان العارفين، موقع الوراق،http://www.alwarraq.com ، ص١٧١، ومجموعة رسائل ابن عابدين،=

وكذا تعْريف الْهيْتميّ للأُوْلياء بأنّهم: الْقائمون بحقوق اللّه وحقوق عباده، بجمْعهمْ بيْن الْعلْم والْعمل، وسلامتهمْ من الْهفوات والزّلل.(١) ولا يخْفى أنّ سلامتهمْ من الْهفوات والزّلل لا تعْني الْعصْمة، إذْ لا عصْمة إلاّ لنبيٍّ، ولكنْ كما قال ابْن عابدين على معْنى أنّ اللّه يحْفظ الْوليّ منْ تماديه في الزّلل والْخطأ إنْ وقع فيهما، بأنْ يلْهمه التّوْبة فيتوب منْهما، وإلاّ فهما لا يقْدحان في ولايته.(٢)

=نشر المكتبة الهاشمية، ج٢، ص٢٧٧، وابن حجر المكي، حاشية المدابغي على فتح المعين، ص ٢٦٩.

(١) ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي، الفتاوى الحديثة، طبعة دار المعرفة، ص٣٠١.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، ج٢، ص٢٧٧.

المبحث الثاني: الأنبياء والأولياء:

١. الفرق بين الولي والنبي

ذكر العلماء أنّ هناك فرق بين الولي والنبي في: (١)

أ- **الْعصْمة:** فالأَنْبياء معْصومون وجوبًا، وليْس الأَوْلياء كذلك، فيجوز عليْهمْ ما يجوز على سائر عباد اللّه الْمؤْمنين من اقْتراف الذّنوب. قال الشّوْكانيّ: "لكنّهمْ قدْ صاروا إلى رتْبةٍ رفيعةٍ ومنْزلةٍ عليّةٍ، فقل أنْ يقع منْهمْ ما يخالف الصّواب وينافي الْحقّ، وإذا وقع ذلك فلا يخْرجهمْ عنْ كوْنهمْ أوْلياء للّه".(٢)

وقال النّوويّ: "وأمّا أنْ يكون الْوليّ محْفوظًا، فلا يصرّ على الذّنوب، وإنْ حصلتْ منْه هفواتٌ في أوْقاتٍ أوْ زلاّتٌ، فلا يمْتنع ذلك في حقّهمْ".(٣)

ب- الإيْمان به ووجوب الاتّباع: الأَنْبياء صلوات اللّه عليْهمْ يجب لهم الإيْمان بجميع ما يخْبرون به عن اللّه (ﷻ) وتجب طاعتهمْ فيما يأْمرون به، بخلاف الأَوْلياء فإنّهمْ لا تجب طاعتهمْ في كل ما يأْمرون ولا الإيْمان بجميع ما يخْبرون به. قال ابْن تيْميّة: "بل يعْرض أمْرهمْ وخبرهمْ على الْكتاب والسّنّة، فما وافق الْكتاب والسّنّة وجب قبوله، وما خالف الْكتاب والسّنّة كان مرْدودًا. ثمّ قال: ذلك

---

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج١١، ص٢٠٨، وص٢٢١، وص٢٢٣، والسفاريني، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج٢، ص٣٠١، والشوكاني، قطر الولي، ص ٢٤٨، والغنيمي الميداني، شرح العقيدة الطحاوية، ص١٣٩، وكشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص١٥٢٩.

(٢) الشوكاني، القطر الجلي شرح حديث الولي، ص ٢٤٨.

(٣) النووي، بستان العارفين، ص١٧٣.

أنّ أوْلياء اللّه يجب عليْهم الاعْتصام بالْكتاب والسّنّة، وأنّه ليْس فيهمْ معْصومٌ يسوّغ له أوْ لغيْره اتّباع ما يقع في قلْبه منْ غيْر اعْتبارٍ بالْكتاب والسّنّة".(١)

ج- الْوحْي: الأنْبياء مكرّمون بتلقّي الْوحْي ومشاهدة الْملك، وليْس الأوْلياء كذلك. فالْوليّ لا يسعه إلاّ اتّباع النّبيّ، حتّى إنّ الْوليّ لو ادّعى النّبوّة صار عدوًّا للّه، لا وليًّا له، وفي هذا ردّ على مدعي علم الغيب.

د- وجوب تبْليغ الْوحْي: الأنْبياء مأْمورون بتبْليغ الأحْكام وسائر ما يوحى إليْهمْ به من اللّه وإرْشاد الأنام لدينه، وليْس الأوْلياء كذلك، لأنّهمْ لا يتلقّوْن ذلك مباشرةً بواسطة الْوحْي، وإنّما يتّبعون الأنْبياء.

هـ- الأمْن منْ سوء الْخاتمة: فالأنْبياء مأْمونون عنْ خوْف سوء الْخاتمة، أمّا الْوليّ فلا يعْلم هو ولا غيْره ما دام حيًّا هل سيخْتم له بالْموافاة على الإيْمان، أمْ أنّه سيلْقى اللّه غيْر ذلك.

و- ختْم النّبوّة: فالنّبوّة مخْتومةٌ منْ حيْث الإنْباء والإخْبار عن اللّه (ﷻ) بنبيّنا محمّدٍ (ﷺ)، إذْ لا نبيّ بعْده، أمّا الْولاية فدائمةٌ إلى قيام السّاعة.

ز- حكْم السّبّ: أجْمع الْمسْلمون على أنّ منْ سبّ نبيًّا فقدْ كفر، ومنْ سبّ أحدًا من الأوْلياء الّذين ليْسوا بأنْبياء فإنّه لا يكْفر، إلاّ إذا كان سبّه مخالفًا لأصْلٍ منْ أصول الإيْمان، مثْل أنْ يتّخذ ذلك السّبّ دينًا، وقدْ علم أنّه ليْس بدينٍ.(٢)

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ص ٥٦٠، الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، طبعة دار التراث، ج٤، ص١٣٥.

ح- اتّفق سلف الأُمّة وخلفها منْ أهْل السّنّة والْجماعة على أنّ الأَنْبياء أفْضل من الأَوْلياء الّذين ليْسوا بأنْبياء، وأنّه لا يجوز تفْضيل أحدٍ من الأَوْلياء على أحدٍ من الأَنْبياء. قال الْقشيْريّ: "رتْبة الأَوْلياء لا تبْلغ رتْبة الأَنْبياء عليْهم الصّلاة والسّلام للإِجْماع الْمنْعقد على ذلك". (١)

أمّا ما نقل عنْ بعْض الْكرّاميّة وغلاة الْمتصوّفة منْ جواز كوْن الْوليّ أفْضل من النّبيّ فهو باطلٌ. قال الْغنيْميّ الْميْدانيّ: "هو كفْرٌ وضلالٌ".(٢)

وأما أفْضل الأَوْلياء والأَنْبياء، فقدْ قال ابْن تيْميّة: "أفْضل أوْلياء اللّه تعالى همْ أنْبياؤه، وأفْضل أنْبيائه هم الْمرْسلون، وأفْضل الرّسل همْ أولو الْعزْم: نوحٌ وإبْراهيم وموسى وعيسى ومحمّدٌ (ﷺ). وأفْضل الرّسل: نبيّنا محمّدٌ عليْه الصّلاة والسّلام".(٣)

٢. كرامات الأَوْلياء:ـــ

الْكرامات جمْع كرامةٍ، وهي في اللّغة: الشّرف. من الْكرم: الّذي يعْني شرف الشّيْء في نفْسه أوْ في خلقٍ من الأَخْلاق. أو الإِكْرام: الّذي هو إيصال نفْعٍ إلى الإِنْسان، لا يلْحقه فيه غضاضةٌ، أوْ أنْ يجْعل ما يوصل إليْه شيْئًا كريمًا، أيْ شريفًا.(٤)

---

(١) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، بستان العارفين، دار الريان للتراث، ص ١٦٩.

(٢) الميداني الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص١٣٩.

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج١١، ص١٦١، وانظر القطر الجلي شرح حديث الولي، ص ٢٣٨.

(٤) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٥، ص١٧٢، ومفردات الراغب، ص ٧٠٧.

أمّا في الاصْطلاح الشّرْعيّ، فقدْ عرّف ابْن عابدين الْكرامة بأنّها: ظهور أمْـرٍ خارقٍ للْعادة، على يد عبْدٍ ظاهر الصّلاح، ملْتزمٍ لمتابعة نبيٍّ من الأُنْبياء، مقْترناً بصحيح الاعْتقاد والْعمل الصّالح غيْر مقارنٍ لدعْوى النّبوّة.(١)

امتازت الكرامة بعدم الاقتران بدعوى النبوة عن المعجزة، وبكونها على يـد ظاهر الصلاح وهو الولي عما يسمونه معونة وهي الخارق الظاهر على أيـدي عوام المؤمنين، تخلصا لهم من المحن والمكاره، وبمقارنـة صـحيح الاعتقـاد والعمل الصالح عن الاستدراج، وبمتابعة نبي قبله عن خوارق مـدعي النبـوة المؤكدة لكذبه المعروفة بالإهانة كبصق مسيلمة في بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة، فصار ملحا أجاجا.(٢)

وقد ذهب أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين وغيرهم – خلافا للمعتزلة ومن وافقهم – إلى أن ظهور الكرامة على الأولياء جائز عقـلا، لأنها من جملة الممكنات، وأنها واقعة نقلا مفيدا لليقين من جهة مجيء القـرآن بها، ووقوع التواتر عليها قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل. وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز.(٣)

---

(١) ابن عابدين، مجموعة رسائل، ج٢، ص٢٧٨.

(٢) المحلي على جمع الجوامع مع حاشية العطار، ج٢، ص٤٨١، الغنيمي الميداني، شـرح العقيدة الطحاوية، ص١٣٩، وكشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص٩٧٥، والـسفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٣٩٢، ومجموعة رسائل ابن عابـدين، ج٢ ، ص٢٧٨، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، طبعة مصطفى الحلبي، ص١١٥.

(٣) الشوكاني، القطر الجلي شرح حديث الولي، ص٢٥٧ وما بعـدها، النـووي، وبـستان العارفين، ص١٤١–١٥٥، والمعتمد لأبي يعلى، ص١٦١، والفتاوى الحديثيـة لابـن=

٣. الفرق بين الكرامة والمعجزة:ـــــ

الْمعْجزة: اسْم فاعلٍ مأْخوذةٌ من الْعجْز الْمقابل للْمقْدرة، لما فيها منْ إعْجــاز الْخصْم عنْد التّحدّي، والْهاء للْمبالغة.

وهي في الشّرْع: ما خرق الْعادة منْ قولٍ أوْ فعْلٍ، إذا وافق دعْوى الرّســالة وقارنها وطابقها، على جهة التّحدّي ابْتداءً، بحيْث لا يقْدر أحدٌ عليْها ولا علــى مثْلها ولا على ما يقاربها.(١)

وتسْمية دلائل النّبوّة وأعْلامها "معْجزاتٍ" إنّما هو اصْطلاح النّظّار، إذْ لمْ يردْ هذا اللّفْظ في الْكتاب ولا في السّنّة، والّذي فيه لفْظ الْآية والْبيّنة والْبرْهان.(٢)

أما وجوه التفرقة بين الكرامة والمعجزة فهي:

أولا: أن المعجزة تقترن بالتحدي، وهو طلب المعارضة والمقابلة يقال تحديت فلانا: إذا باريته في فعل ونازعته للغلبة أما الكرامة فلا تقترن بذلك. ولا شك أنّ

=حجر المكي، ص٣٠١، وشــرح الطحاويــة للغنيمــي، ص١٣٩، ولوامــع الأنــوار البهية،ج٤، ص٢٣٩، والمحلي على جمــع الجوامــع وحاشــية العطــار عليــه، ج٢، ص٤٨١.

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٦٥، الجرجاني، والتعريفــات، ص١١٥، وكشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص٩٧٥، السفاريني، لوامع الأنــور البهيــة، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر، حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٤هــ، ج٤، ص٦٧.

كلّ ما وقع منه (ﷺ) بعد النبوة من معجزات كنطق الحصى وحنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه (ﷺ) مقرون بالتحدي... .(١)

ثانيًا: أنّ الأنْبياء مأُمورون بإظْهار معْجزاتهمْ، لحاجة النّاس إلى معْرفة صدْقهمْ واتّباعهمْ، ولا يعْرف النّبيّ إلاّ بمعْجزٍ. أمّا الْكرامة فلا يجب على الْوليّ إظْهارها، بل يسْتر كرامته ويسرّها ويجْتهد على إخْفاء أمْره.(٢)

ثالثًا: أنّ دلالة الْمعْجزة على النّبوّة قطْعيّةٌ، وأنّ النّبيّ يعْلم أنّه نبيٌّ، بيْنما دلالة الْكرامة على الْولاية ظنّيّةٌ، ولا يعْلم مظْهرها أوْ منْ ظهرتْ على يديْه أنّه وليٌّ، ولا غيْره يعْلم ذلك، لاحْتمال أنْ يكون ممْكورًا به.(٣)

ويتفرّع على ذلك أنّ الْمعْجزة تدل على عصْمة صاحبها وعلى وجوب اتّباعه، أمّا الْكرامة فلا تدل على عصْمة منْ ظهرتْ عليْه، ولا على وجوب اتّباعه في كل ما يقول، ولا على ولايته، لجواز سلْبها أوْ أنْ تكون اسْتدْراجًا له.(٤)

رابعًا: أنّ الْكرامة لا يجوز بلوغها مبْلغ الْمعْجزة في جنْسها وعظمها، كإحْياء الْموْتى وانْفلاق الْبحْر وقلْب الْعصا حيّةً وخروج الْماء منْ بيْن الأُصابع، وبذلك قال بعْض الْحنفيّة وبعْض الشّافعيّة. (٥)

---

(١) ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، ص ٣٠٨.

(٢) لوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٣٩٦، وبستان العارفين للنووي، ص ١٦١، وص١٦٥.

(٣) الفتاوى الحديثية، ص ٣٠٥، وبستان العارفين، ص ١٦١.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية، ص ٦٠٠، ولوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٣٩٣.

(٥) انظر الشوكاني، قطر الولي، ص٢٥٨، ورد المحتار، ج٣، ص٣٠٨، ومجموعة رسائل ابن عابدين، ج٢، ص٢٧٩، وبستان العارفين، ص١٥٦، وص١٦٢، والفتاوى=

٤. الفرق بين الكرامات وخوارق الشيطان

ذكر العلماء أن الخارق غير المقترن بتحدي النبوة إذا ظهر على يد عبد صالح، وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه فهو الكرامة. أما إذا ظهر على يد ظاهر الفسق مطابقا لدعواه فهو "الاستدراج" وقد يسمى "سحرا وشعوذة" وإنْ ظهر على يد مدّعي النّبوّة منْ أهْل الضّلال فهو "الإهانة"، كنطْق الْجماد بأنّه مفْترٍ كذّابٍ ونحْو ذلك، لأنّ خارق الْعادة في هذه الْحالة لا يكون موافقًا للدّعْوى، بل مثْبتًا لكذبها. (١)

وأساس ذلك أنّ كرامات الأُوْلياء لا يكون سببها إلاّ الإيْمان والتّقْوى، أمّا خوارق أعْداء اللّه فسببها الْكفْر والْفسوق والْعصْيان. (٢)

وفي ذلك يقول ابن تيمية: "إن خوارق العادات لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب أتباعه في كل ما يقول، لأن بعضا منها قد يصدر عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت في حديث رسول الله (ﷺ) عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدا ثم يحييه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة ."

=الحديثية، ص٣٠١-٣٠٢، والمحلي على جمع الجوامع وحاشية العطار، ج٢، ص٤٨١، ولوامع الأنوار البهية، ج٢، ص٣٩٦.

(١) بستان العارفين، ص١٥٧، ولوامع الأنوار، ج٢، ص٢٩٠، وشرح العقيدة الطحاوية للميداني، ص١٣٩، والفتاوى الحديثية، ص ٣٠٤، وكشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص٩٧٥.

(٢) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج١١، ص٣٠٢.

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء، لـــم تثبت له ولاية، بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله (ﷺ).(١)

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص٦٠٠، ومجموع فتـــاوى ابـــن تيميـــة، ج٢ ، ص٤٨٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ج٦ ، ص ١٠٨ والفتاوى الكبرى، ج١، ص ٢٠٦.

المبحث الثالث: عصمة الأولياء

أجمع المسلمون أنّ العصمة لا تكون إلاّ للأنبياء (عليهم السلام)، وأما من دونهم كأصحاب النبي (ﷺ) فليسوا بمعصومين إجماعاً فضلا عمن دونهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"والأولياء وإن كان فيهم محدثون كما ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة قال قال النبي (ﷺ):« لقدْ كان فيمنْ كان قبْلكمْ منْ بنى إسْرائيل رجالٌ يكلّمون منْ غيْر أنْ يكونوا أنْبياء، فإنْ يكنْ منْ أمتي منْهمْ أحدٌ فعمر». (١)

فهذا الحديث يدل على أنّ أول المحدثين من هذه الأمة عمر؛ وأبو بكر أفضل منه إذ هو الصديق فالمحدث – وإن كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى– فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: "قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام". ولهذا كان عمر بن الخطاب وقافا عند كتاب الله، وكان أبو بكر الصديق يبين له أشياء تخالف ما يقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي (ﷺ) ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة؛ فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون إليه، وربما قال القول: فترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع إليها ويدع قوله،كما قدر الصداق وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبي (ﷺ) فيعمل به ويدع رأيه، وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة، وكان يقول القول فيقال له: أصبت فيقول والله ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطأه؟.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص ٢٢٦، والحديث في البخاري، الصحيح، حديث: ٣٦٨٩.

فإذا كان هذا إمام المحدثين فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر، فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم، وإن كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا – فهذا باطل مخالف للسنة والإجماع.

ولهذا اتفق المسلمون على أنّ كلّ أحد من الناس: يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله (ﷺ)(١) وإن كانوا متفاضلين في الهدى والنور والإصابة؛ ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث، لأن الصديق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئا معصوما محفوظا. وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه؛ وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة لا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل، وإن كانوا مجتهدين فيه، والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم. ومعلوم أن السابقين الأولين أعظم اهتداء وأتباعا للآثار النبوية فهم أعظم إيمانا وتقوى"(٢).

وقال أيضاً:"وليْس منْ شرْط وليّ اللّه أنْ يكون معْصومًا لا يغْلط ولا يخْطئ؛ بلْ يجوز أنْ يخْفى عليْه بعْض علْم الشّريعة، ويجوز أنْ يشْتبه عليْه بعْض أمور

(١) انظر الأحكام للآمدي، ج١، ص١٠، والأحكام لابن حزم، ج٦، ص٨٥٧، وص٨٨٣، وإعلام الموقعين عن رب العالمين ج٤، ص ٥٢، وكتب وليد بن راشد السعيدان، ج٢، ص ٣٢، وص ٧٢، وص ٧٣ ومن أصول الفقه على منهج أهل الحديث، المكتبة الرقمية، ج١، ص ١٧٥، والخلاف بين العلماء، المكتبة الرقمية، ج١، ص٣٢، وشرح رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ج١، ص٢.

(٢) انظر اين تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥، ص٤٠٣.

الدّين حتّى يحْسب بعْض الْأمور ممّا أمر اللّه به وممّا نهى اللّه عنْه ويجــوز أنْ يظنّ في بعْض الْخوارق أنّها منْ كرامات أوْلياء اللّه تعالى، وتكون من الشّيْطان لبّسها عليْه لنقْص درجته، ولا يعْرف أنّها منْ الشّيْطان(١)، وإنْ لمْ يخْرجْ بــذلك عنْ ولاية اللّه تعالى؛ فإنّ اللّه (ﷻ) تجاوز لهذه الْأمّة عنْ الْخطأ والنّسْيان ومــا اسْتكْرهوا عليْه(٢)، قال تعالى:{ لا يكلّف اللّه نفْسًا إلّا وسْعها لهــا مــا كــسبتْ وعليْها ما اكْتسبتْ ربّنا لا تؤاخذْنا إنْ نسينا أوْ أخْطأْنا ربّنا ولا تحْمــلْ عليْنــا إصْرًا كما حملْته على الّذين منْ قبْلنا ربّنا ولا تحمّلْنا ما لا طاقة لنا به واعْــف عنّا واغْفرْ لنا وارْحمْنا أنْت موْلانا فانْصرْنا على الْقوْم الْكافرين} (البقرة:٢٨٥-٢٨٦)، وقدْ ثبت في الصّحيحيْن أنّ اللّه سبْحانه اسْتجاب هذا الدّعاء(٣) وقال: قدْ فعلْت، ففي صحيح مسْلمٍ عن ابْن عبّاسٍ قال لمّا نزلتْ هذه الآية (وإنْ تبْدوا مــا فى أنْفسكمْ أوْ تخْفوه يحاسبْكمْ به اللّه) قال:دخل قلوبهمْ منْها شيء لمْ يدْخلْ قلوبهمْ منْ شيء فقال النبي (ﷺ): «قولوا سمعْنا وأطعْنا وسلّمْنا». قال فألْقى اللّه الإيمان فى قلوبهمْ فأنْزل اللّه تعالى: (لا يكلّف اللّه نفْسًا إلاّ وسْعها لها ما كسبتْ وعليْها ما اكْتسبتْ ربّنا لا تؤاخذْنا إنْ نسينا أوْ أخْطأْنا) قال قدْ فعلْت (ربّنا ولا تحْمــلْ عليْنا إصْرًا كما حملْته على الّذين منْ قبْلنا) – قال قدْ فعلْت (واغْفرْ لنا وارْحمْنا أنْت موْلانا) قال قدْ فعلْت.(٤).

---

(١) انظر المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١١٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١١٤.

(٣) مسلم بن الحجاج، الصحيح، موسوعة الحــديث الــشريف، وزارة الأوقــاف، مــصر، www.islamic,council.org، حديث: ٣٤٤، وأخرجه البخــاري، حــديث: ٤٥٤٥، مختصرا عن ابن عمر.

(٤) صحيح مسلم، حديث: ٣٤٥ .

وقد مات النبي (ﷺ) بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة بقوله (ﷻ): {الْيوْم أكْملْت لكمْ دينكمْ وأتْممْت عليْكمْ نعْمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (المائدة: ٣). وبموته (ﷺ) انقطع عن الدنيا(١) وعن اتصاله بالخلق، فمن ادّعى أن له صلة به (ﷺ) أو أنه يجالسه أو يأخذ عنه العلم أو يتلقى منه الأوامر فقد افترى إثماً مبيناً وكذب على الله (ﷻ) وعلى رسوله (ﷺ).

(١) قلت: ليس انقطاعاً تاما، بل أعمالنا تعرض عليه (ﷺ) وهناك حديث يدل على ذلك فعنْ عبْد الله، عن النّبيّ (ﷺ)، قال:"إنّ للّه ملائكةً سيّاحين يبلّغوني عنْ أمّتي السّلام" قال: وقال رسول الله (ﷺ): "حياتي خيْرٌ لكمْ تحدّثون ونحدّث لكمْ، ووفاتي خيْرٌ لكمْ تعْرض عليّ أعْمالكمْ، فما رأيْت من خيْرٍ حمدْت اللّه عليْه، وما رأيْت من شرٍّ اسْتغْفرْت اللّه لكمْ". أخرجه البزار في مسنده، ج٢، ص٤٥٨، برقم: ١٩٢٥، والإتحاف: ج٩، ص١٧٦، ١٧٧، والمطالب، موقع جامع الحديث، comhttp://www.alsunnah. ، ج١١، ص٩٣، حديث: ٣٨٥٣، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ،ج٧، ص٣٠، برقم: ٦٤١٢، وهو حديث حسن.

المبحث الرابع: هل ما كان معجزةً لنبيٍّ كان كرامةً لوليٍّ؟([1])

قال بعض أهل العلم: "إن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي. وهذا القول لا يصح بهذا الإطلاق، وإنما يتعين تقييده، فيستثنى ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء، فإنّ الأولياء لا يصلون إلى مثله، قال ابن حجر: "المشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال، ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك، فإن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة، فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري، وتعين تقييد قول من أطلق أنّ كلّ معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي ".([2])

وقال ابن حجر المكي: "وقوْل الْمعْتزلة إحْياء الْميّت، أمْرٌ خارقٌ للْعادة فلا يجوز إظْهاره إلّا معْجزةً لنبيٍّ ردّه أهْل السّنّة بأنّه يجوز بأنّه خرقها كرامةً لوليٍّ ولغيْر ذلك، وإنْكار ذلك مكابرةٌ للْحسّ وليْس ذلك ببعيدٍ منْ عقولهمْ الْفاسدة الضّالّة".([3])

---

(١) انظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، ج ٧، ص٢٠٨٢، رقم الفتوى: ٤٩٧٢٤ مقولة "ما صح لنبي صح لولي" تاريخ الفتوى: ٢١، ربيع الثاني ١٤٢٥هـ.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص٤٢٠.

(٣) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة: الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ج٣، ص١٧٧.

وفي فتاوى الرملي: "سئل عمن قال من كرامات الولي أن يقول للشيء كن فيكون فنهى عن ذلك فقال: من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة فهل ما ادعاه صحيح أو باطل؟ (فأجاب) بأن ما قاله صحيح إذ الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قال الأئمة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلاّ التحدي فمرجع الكرامة إلى قدرة الله تعالى نعم إن أراد استقلال الولي بذلك فهو كافر ".(١)

وقال البراك: "معجزات الأنبياء وهي الآيات والبينات والبراهين على صدقهم، وكرامات الأولياء كلها من خوارق العادات، وكل الخوارق يرجع إلى نوع القدرة والتأثير، أو العلم، أو الغنى. فالخوارق تتنوع بحسب هذه المعاني، فمعجزات الأنبياء منها ما يكون علمياً، ومنها ما يكون من قبيل القدرة، ومنها ما يكون من قبيل الغنى، وهكذا كرامات الأولياء.

وقول القائل: (ما صح أن يكون معجزة لنبي صح أن يكون خارقاً لولي)، معناه: أن ما كان معجزة للنبي إن حصل مثله للولي فهو كرامة، وليس المقصود أن كل معجزة من معجزات الأنبياء يكون مثلها للأولياء، لكن إن حصل للولي من الخوارق ما يشبه بعض معجزات النبي فهو في حقه كرامة، وما كان كرامة لولي فإنه معجزة للنبي الذي يتبعه هذا الولي... وقد ذكر شيخ الإسلام بن تيمية أن خوارق الأنبياء لا يقدر على مثلها أحد من البشر، فلا بد أن تتميز خوارق الأنبياء على كرامات الأولياء" (٢).

---

(١) الرملي، أحمد بن حمزة الأنصاري، فتاوى الرملي، جمعها: ابنه، محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، المكتبة الإسلامية، ج٦ ، ص١٨٠.

(٢) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم، ج٤، ص١٦٢، بين كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء، المجيب عبد الرحمن بن ناصر البراك.

وقال ابن عثميين: "ولهذا كان من القواعد المقررة عند العلماء: أن كلّ كرامة لولي فهي آيةٌ للنبي الذي اتبعه؛ لأنّ هذه الكرامة تشهد بصدق ما كان عليه الولي، وهذا الولي تابع لرسولٍ سابق، فيكون في ذلك آية على أنّ هذا الشرع الذي عليه هذا الولي حق، وهذه تكون آية للنبي، فالقاعدة الآن: أن كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه..." (١).

وقال ابن أطفيش: "اختلفوا في كرامات الأولياء فنفتها المعتزلة وأثبتها الجمهور، والحجة على المعتزلة قول الله تعالى: {كلّما دخل عليْها زكريّا الْمحْراب وجد عندها رزْقاً قال يا مرْيم أنّى لك هذا قالتْ هو منْ عند اللّه إنّ اللّه يرْزق من يشاء بغيْر حسابٍ} (آل عمران:٣٧) فافهم ذلك ردا عليهم، والكرامة: ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته في اتباع نبيه في جميع ما جاء به، وإلاّ فهي استدراج أو سحر أو إذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب –لعنه الله– أنه جاءه أعور يدعو له، فدعا فعميت الصحيحة أيضا، وتسمى إهانة، وقد يظهر الخارق على يد عاص تخليصا له من فتنة، وتسمى معونة... وقيل: منع وقوع التي من جنس معجزة نبي لئلا يلتبس الأمر، وردهما الفخر بأن المرضي وقوعها مع الانتفاء من النبوءة، واشترط القشيري وجماعة أن لا تنتهي إلى إحياء ميت ولا وجود ولد من غير أب، ورد بذلك وبقولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لأنه لا يدعي النبوة، والكرامة من الجائز تظهر بأيدي أتباع الأنبياء إكراما للأنبياء كما وقع لمريم، وكولادة عيسى بلا أب، وكما وقع لأصحاب الكهف، ووزير سليمان في عرش بلقيس..." (٢)

(١) لقاءات الباب المفتوح، ج٣، ص١٨٤، تفسير قوله تعالى: كذبت ثمود بالنذر...،.

(٢) شرح النيل وشفاء العليل، فقه إباضي، ج٣٤، ص ٢٠٦.

المبحث الخامس: التفاضل بين الأنبياء والأولياء

اتّفق سلف الْأمّة وأئمّتها وسائر أوْلياء اللّه تعالى على أنّ الْأنْبياء أفْضل مـنْ الْأوْلياء الّذين ليْسوا بأنبياء (١)، وقدْ رتّب اللّه عباده السّعداء الْمنْعم عليْهمْ " أرْبع مراتب " فقال تعالى: {ومن يطع اللّه والرّسول فأوْلئك مع الّذين أنْعم اللّه عليْهم مّن النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقًا}(النساء: ٦٩).

وفي الْحديث: "{ما طلعتْ الشّمْس ولا غربتْ علـى أحـدٍ بعْـد النّبيّـين والْمرْسلين أفْضل منْ أبي بكْرٍ}(٢)، وأفْضل الْأمم أمّة محمّدٍ (ﷺ). قال تعـالى: {كنتمْ خيْر أمّةٍ أخْرجتْ للنّاس تأْمرون بالْمعْروف وتنْهوْن عن الْمنكر وتؤْمنون باللّه} (آل عمران:١١٠)، وقال النّبيّ (ﷺ) في الْحديث الّذي في الْمسْند: « أنْـتمْ توفون سبْعين أمّةً أنْتمْ خيْرها وأكْرمها على اللّه تبارك وتعالى»(٣).

وأفْضل أمّة محمّدٍ (ﷺ) الْقرْن الْأوّل(٤). وقدْ ثبت عنْ النّبيّ (ﷺ) منْ غيْـر وجْهٍ أنّه قال: «خيْركمْ قرْنى، ثمّ الّذين يلونهمْ، ثمّ الّذين يلونهمْ»، وهذا ثابتٌ في

(١) وفي مجموع الفتاوى، ج١٨، ص٣٧٠: "إنّ الْأنْبياء أفْضل منْ الْأوْلياء وخيار الْأوْليـاء أتْبعهمْ للْأنْبياء كما كان أبو بكْرٍ أفْضل منْ طلعتْ عليْه الشّمْس بعْد النّبيّين والْمرْسـلين". وانظر الرسالة القشيرية، ج١، ص١٥٩.

(٢) حلية الأولياء، ج٣، ص٣٢٥، وفـضائل الـصحابة، ص١٣٥ وص١٣٧ و ص٦٦٢، حسن لغيره، وانظر مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤٤٤.

(٣) أحمد بن حنبل، المـسند، موسـوعة الحـديث الـشريف، وزارة الأوقـاف، مـصر، www.islamic,council.org، حديث: ٢٠٥٥٠، صحيح.

(٤) انظر بتوسع الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣٣، ص١٥٣.

الصّحيحيْن منْ غيْر وجْه. وفي الصّحيحيْن أيْضًا عنْه (ﷺ) أنّه قال: « لا تسبّوا أصْحابى، فلوْ أنّ أحدكمْ أنْفق مثْل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهمْ ولا نصيفه»(١).

والسّابقون الْأوّلون من الْمهاجرين والْأنْصار أفْضل منْ سائر الصّحابة، قال تعالى: {والسّابقون الأوّلون من الْمهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحْسانٍ (ﷺ) ورضواْ عنْه وأعدّ لهمْ جنّاتٍ تجْري تحْتها الأنْهار خالدين فيها أبدًا ذلك الْفوْز الْعظيم} (التوبة: ١٠٠)، والسّابقون الْأوّلون الّذين أنْفقوا منْ قبْل الْفتْح وقاتلوا، والْمراد بالْفتْح صلْح الْحديْبية، فإنّه كان أوّل فتْح مكّة وفيه أنْزل اللّه تعالى: {إنّا فتحْنا لك فتْحًا مبينًا * ليغْفر لك اللّه ما تقدّم منْ ذنْبك وما تأخّر ويتمّ نعْمته عليْك ويهْديك صراطًا مسْتقيمًا * وينْصرك اللّه نصْرًا عزيزًا *} (الفتح:١-٤)، فقالوا يا رسول اللّه أوفتْحٌ هو قال: نعمْ }.

وأفْضل السّابقين الْأوّلين "الْخلفاء الْأرْبعة "وأفْضلهمْ أبو بكْرٍ ثمّ عمر وهذا هو الْمعْروف عنْ الصّحابة والتّابعين لهمْ بإحْسان وأئمّة الْأمّة وجماهيرها وقدْ دلّتْ على ذلك دلائل بسطْناها في "منْهاج أهْل السّنّة النّبويّة في نقْض كلام أهْل الشّيعة والْقدريّة".

وبالْجمْلة اتّفقتْ طوائف السّنّة والشّيعة على أنّ أفْضل هذه الْأمّة بعْد نبيّها واحدٌ منْ الْخلفاء، ولا يكون منْ بعْد الصّحابة أفْضل من الصّحابة، وأفْضل أوْلياء اللّه تعالى أعْظمهمْ معْرفةً بما جاء به الرّسول صلّى اللّه تعالى عليْه وسلّم واتّباعًا له، كالصّحابة الّذين همْ أكْمل الْأمّة في معْرفة دينه واتّباعه(٢)، وأبو بكْرٍ

(١) البخاري، الصحيح، حديث: ٣٦٧٣، ومسلم، الصحيح، حديث:٦٦٥١.

(٢) والصحابة أكمل الأمّة في ذلك بدلالة الكتاب والسنّة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمّة إلاّ وهو معترف بفضل الصحابة عليه، وعلى أمثاله، وتجد من=

الصّدّيق أكْمل معْرفةً بما جاء به وعملًا به، فهو أفْضل أوْلياء اللّه إذْ كانتْ أمّة محمّدٍ (ﷺ) أفْضل الْأمم وأفْضلها أصْحاب محمّدٍ (ﷺ) وأفْضلهمْ أبو بكْرٍ.

=ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس، ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في أئمة الجيوش المؤيدة المنصورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي. انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني، مختصر منهاج السنة، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ج١، ص٤١، وج١، ص١٠٣.

الفصل الثاني: حديث الوليّ وإشكالاته

المبحث الأول: نصّ الحديث وشواهده

١. عنْ أبي هريْرة قال قال رسول اللّه (ﷺ):« إنّ اللّه قال منْ عادي لي وليًّا فقدْ آذنْته بالْحرْب، وما تقرّب إلىّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افْترضْت عليْه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحْببْته كنْت سمْعه الذي يسْمع به، وبصره الذي يبْصر به، ويده التي يبْطش بها ورجْله التي يمْشى بها، وإنْ سألني لأعْطينّه، ولئن اسْتعاذني لأعيذنّه، وما ترددْت عنْ شيء أنا فاعله ترددي عنْ نفْس الْمؤْمن، يكْره الْموْت وأنا أكْره مساءته».(١)

٢. وعنْ عائشة قالتْ قال رسول اللّه (ﷺ): « قال اللّه (ﷻ) منْ أذلّ لي وليًّا فقد اسْتحلّ محاربتي وما تقرّب إلىّ عبدي بمثْل أداء الْفرائض وما يزال الْعبْد يتقرّب إلىّ بالنّوافل حتّى أحبّه إنْ سألني أعْطيْته وإنْ دعاني أجبْته ما تردّدْت عنْ شيء أنا فاعله ترددي عنْ وفاته لأنّه يكْره الْموْت وأكْره مساءته».(٢)

---

(١) البخاري، الصحيح، حديث: ٦٥٠٢، وشرح السنة للبغوي، ج٤، ص١٢١، وهق ، ج٣، ص٣٤٦ وج١٠، ص٢١٩ حديث: ٢١٥٠٨، والإتحاف، ج١٠، ص٤٠٣ والسلسلة الصحيحة، حديث:١٦٤٠، والسنة للبغوي، ج٥، ص١٩، وفتح الباري، ج١١، ص٣٤٠ ،حديث: ٣٤١، وتلخيص، ج٣، ص١١٧، وصحيح الجامع، حديث: ١٧٨٢، والإحسان: حديث:٣٤٧، وابن ماجه حديث: ٣٩٨٩.

(٢) مسند أحمد، حديث: ٢٦٩٤٧، والمعجم الأوسط للطبراني، حديث: ١١٤٠٨، والزهد الكبير للبيهقي، حديث:٧٠٧، وهو صحيح لغيره.

٣. وعنْ أبي أمامة رضي اللّه تعالى عنْه، عنْ رسول اللّه (ﷺ)، قال: إنّ اللّه (ﷻ)، يقول:"ما يزال عبْدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فأكون أنا سمْعه الّذي يسْمع به، وبصره الّذي يبْصر به، ولسانه الّذي ينْطق به، وقلْبه الّذي يعْقل به، فإذا دعا أجبْته، وإذا سألني أعْطيْته، وإذا اسْتنْصرني نصرْته، وأحبّ ما تعبّد لي عبْدي به النّصْح لي".أخرجه الطبراني([1])

٤. وعن الحسن قال: يقول الله ما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأكون عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه اللتين يسمع بهما ويديه اللتين يبطش بهما ورجليه اللتين يمشي بهما فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإن استغفرني غفرت له".([2])

٥. وعنْ حسّان بْن عطيّة، قال: منْ عادى أوْلياء الله فقدْ آذن اللّه بالْمحاربة، ومنْ حالتْ شفاعته دون حدٍّ منْ حدود الله فقدْ حادّ اللّه في أمْره، ومنْ أعان على خصومةٍ لا علْم له بها كان في سخط الله حتّى ينْزع، ومنْ قفا مؤْمناً بما لا علْم له به وقفه اللّه في ردْغة الْخبال حتّى يجيء منْها بالْمخْرج، ومنْ خاصم لضعيفٍ حتّى يثْبت له حقّه، ثبّت اللّه قدميْه يوْم تزلّ الأقْدام، وقال اللّه: ما

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية: ١٩٨٣م، ج٧، ص٢٣٠، حديث: ٧٧٣٩، وج٧، ص٢٥٠، حديث: ٧٨٠٠، والإتحاف، ج٨، ص١٠٢ وص٤٧٧، وج٩، ص٤٤٠ والكامل لابن عدى، ج٥، ص١٩٣٩، والسلسلة الصحيحة، حديث:١٦٤٠، والزهد الكبير، للبيهقي، حديث:٧١٠ ، وهو حسن لغيره.

(٢) عبد الرزاق، ابن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، حديث:٢٠٣٠٢، صحيح مرسل.

تردّدْت في شيْءٍ أريده، ترْدادي في قبْض نفْس عبْدي الْمؤْمن يكْره الْموْت وأكْره مساءته ولا بدّ له منْه" أخرجه ابن أبي شيبة(١).

٦. وعن طاوس اليماني، قال: «إني لأجد في بعض الكتب الذي أنزل الله تعالى: لن ينجو مني عبد إلا بأداء ما افترضت عليه، وما اقترب إلي عبدي بأفضل من النصيحة، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا فعل ذلك، كنت قلبه الذي يعقل به، وبصره الذي يبصر به، إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استنصر بي نصرته». أخرجه أبو داود في الزهد (٢).

٧. وعن ابْن عبّاسٍ، قال: قال رسول اللّه (ﷺ): يقول اللّه (ﷻ): منْ عاد لي وليًّا فقدْ ناصبني بالْمحاربة، وما تردّدْت عنْ شيْءٍ أنا فاعله كتردّدي عنْ موْت الْمؤْمن يكْره الْموْت وأكْره مساءته، وربّما سألني وليّي الْمؤْمن الْغنى، فأصْرْفه من الْغنى إلى الْفقْر، ولوْ صرفْته إلى الْغنى لكان شرًّا له، وربّما سألني وليّي الْمؤْمن الْفقْر، فأصْرْفه إلى الْغنى، ولوْ صرفْته إلى الْفقْر لكان شرًّا له. إنّ اللّه (ﷻ) قال: وعزّتي وجلالي وعلوّي وبهائي وجمالي وارْتفاع مكاني لا يؤْثر عبْدٌ هواي على هوى نفْسه إلا أثْبتّ أجله عنْد بصره، وضمنت السّماء والأرْض رزْقه، وكنْت له منْ وراء تجارة كلّ تاجرٍ. أخرجه الطبراني.(٣)

---

(١) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، مُصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، ج١٣، ص٥٧٦، حديث: ٣٦٦٣٠ ، والزهد والرقائق لابن المبارك، حديث: ١٠٢٢، صحيح مرسل.

(٢) الزهد لأبي داود، حديث:٥ ، وفيه راو لم أعرفه.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج١٠، ص ٢٩١ ، حديث:١٢٥٥١، وفيه ضعف.

٨. وعن أنس، عن محمد (ﷺ)، عن جبريل، (عليه السلام)، عن الله، تبارك وتعالى قال: يقول الله تبارك وتعالى: "من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما رددت في شيء أنا فاعله ما رددت في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه». مسند الشهاب.(١)

٩. وعن أنس، عن النبي (ﷺ)، عن جبريل (عليه السلام)، عن ربه تعالى وتقدس قال:" يقول الله تعالى: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإنّي لأسرع شيءٍ إلى نصرة أوليائي إني لأغضب لهم كما يغضب اللّيث الحرب، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن وهو يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له منه، وما تعبّد لي عبدي المؤمن بمثل الزّهد في الدّنيا، ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤئلاً، إنْ سألني أعطيته، وإنْ دعاني أستجيب له، وإن ّمن عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه، ولو أعطيته إياه لداخله العجب وأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمنْ لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإنّ منْ عبادي المؤمنين لمن لايصلح له إلاّ السّقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليمٌ خبيرٌ ". أخرجه أبو نعيم في الحلية.(٢)

---

(١) القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، حديث: ١٣٣٤ ، وهو صحيح لغيره.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد، نشر السعادة، ثم صورتها عدة دور منها، دار الكتاب العربي، بيروت، وانظر: الإتحاف،=

١٠. وعن ميمونة زوج النبي (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: «قال الله (ﷻ): من آذى لي وليا فقد استحق محاربتي، وما تقرب إلى عبد بمثل أداء فرائضي، وإنّه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موته، وذاك أنه يكرهه وأنا أكره مساءته». أخرجه أبو يعلى.(١)

١١. وعن عبدة بن أبي لبابة، حدثني زرّ بن حبيش، سمعت حذيفة يقول: قال رسول الله (ﷺ): "إنّ الله تعالى أوحى إليّ: يا أخا المرسلين، ويا أخا المنذرين أنذر قومك أنْ لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً بين يديّ يصلّي حتى يردّ تلك الظّلامة إلى أهلها، فأكون سمعه الذي يسمع به، وأكون بصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة" أخرجه أبو نعيم في الحلية.(٢)

=ج٨، ص١٠٢، حديث: ٤٧٧ ، والطبراني في الصغير، ج٨، ص٢٦٤، ومجمع الزوائد، ج٢، ص٢٤٨، وأخرجه ابن أبى الدنيا في الأولياء، ص٩، حديث:١، والحكيم، ج٢، ص٢٣٢، وأبو نعيم في الحلية، ج٨، ص٣١٨،، وابن عساكر ج٧، ص٩٥، وموسوعة السنة النبوية، للشيخ علي الشحود، ج١٦، ص٨٦، حديث: ٢٢٨٥٢، وهو حسن لغيره.

(١) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م، حديث:٦٩٣٠، وسنده واه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج٦، ص١١٦، وج٣، ص٩، وقال: غريب من حديث الأوزاعي، عن عبدة، ورواه علي بن معبد، عن إسحاق بن أبي يحيى العكي، عن الأوزاعي مثله. وابن عساكر، ج٤٤، ص٦٥، وهو حديث حسن غريب.

المبحث الثاني: حول صحّة الحديث وما قيل فيه والجواب عنه وعن أحاديث الصحيحين

١. رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في حديث الولي

قال الشيخ ناصر الدين الألباني: "كنت برهة من الزمن متوقفا في صحة هذا الحديث، ثم تتبعت طرقه، فتبين لي أنه صحيح بمجموعها، وقد صححه جمع".(١)

قلت: كان ينبغي على الشيخ ناصر (رحمه الله) عدم التسرع في تضعيف هذا الحديث الصحيح، لأنّه في صحيح الإمام البخاري وكفى.

وقال في الصحيحة مبيناً ذلك:" قلت: وهذا إسناد ضعيف، وهو من الأسانيد القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري(٢)، فقال الذهبي في ترجمة خالد بن مخلد هذا وهو القطواني بعد أن ذكر اختلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه وساق له أحاديث تفرد بها هذا منها: "فهذا حديث غريب جدا، ولولا هيبة "الجامع الصحيح" لعددته في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنّه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ، ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد. ولا أخرجه من

(١) الألباني، محمد ناصر الدين الأشقودري، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت. في الهامش، ج١، ص٣٦٧، حديث: ١٧٨٢.

(٢) قلت: انتقاد السند لا يعني بالضرورة انتقاد المتن، فكم من سند انتقد، والمتن صحيح.

عدا البخاري، لا أظنه في مسند أحمد وقد اختلف في عطاء، فقيل: هو ابن أبـــي رباح، و الصحيح أنه عطاء بن يسار".(١)

قال الحافظ ابن حجر في بيان أمر هذا الحديث: "قلت: ليس هو فـــي مـــسند أحمد جزما وإطلاق أنّه لم يرو هذا المتن إلاّ بهذا الإسناد مـــردود ومـــع ذلـــك فشريك شيخ شيخ خالد فيه مقال أيضا وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدم وأخر وتفرد فيه بأشياء لم يتابع عليها كما يأتي القول فيه مستوعبا في مكانه، ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا منها عن عائشة أخرجه أحمد في "الزهد" وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في "الحلية" والبيهقـــي في "الزهد" من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها وذكر ابن حبـــان وابن عدي أنه تفرد به وقد قال البخاري إنه منكـــر الحـــديث، لكـــن أخرجـــه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة وقال لم يروه عن عـــروة إلا يعقوب وعبد الواحد ومنها عن أبي أمامة أخرجه الطبراني والبيهقي في "الزهد" بسند ضعيف ومنها عن علي عند الإسماعيلي في مسند علي وعن ابن عبـــاس أخرجه الطبراني وسندهما ضعيف وعن أنس أخرجـــه أبـــو يعلـــى والبـــزار

(١) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبـــة المعـــارف، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٨٤، وانظر ميـــزان الاعتـــدال، ج١، ص٦٤١، ترجمـــة:٢٤٦٣، وهامش صحيح ابن حبان، ج٢ ، ص ٥٨، وفي سير أعلام النـــبلاء، ج١٩، ص ١٩٨، وروى البخاريّ حديْث: منْ عادى لي وليّاً، فقدْ آذنْته بالحرْب، عن ابْن كرامـــة، عـــنْ خالد.وهو غريْبٌ جدّاً، لمْ يرْوه سوى ابْن كرامة، عنْه. وفيها أيضاً، ج١٦ن ص٧،: قال رسوْل الله، (ﷺ)، :إنّ الله قال:منْ عادى لي وليّـــاً فقـــدْ بـــارزني بـــالحرْب،، وذكـــر الحديْث.غريبٌ جدّاً، مداره على ابْن كرامة، قدْ رواه البخاريّ عنْه، ويرْوى شبهه مـــنْ طريْق عبْد الواحد، عنْ موْلاه عرْوة، عنْ عائشة.

والطبراني وفي سنده ضعف أيضا وعن حذيفة أخرجه الطبراني مختصرا وسنده حسن غريب وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم في "الحلية" مختصرا وسنده ضعيف أيضا، وعن وهب بن منبه مقطوعا أخرجه أحمد في "الزهد" وأبو نعيم في "الحلية" وفيه تعقب على ابن حبان حيث قال بعد إخراج حديث أبي هريرة: لا يعرف لهذا الحديث إلاّ طريقان، يعني غير حديث الباب وهما هشام الكناني عن أنس وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وكلاهما لا يصح وسأذكر ما في رواياتهم من فائدة زائدة.([1])

ثم قال الشيخ ناصر معقباً على كلام ابن حجر:"هذا كله كلام الحافظ. وقد أطال النفس فيه، وحق له ذلك، فإن حديثا يخرجه الإمام البخاري في "المسند الصحيح" ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده، لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده وتقويه... فهل هذا الحديث كذلك؟ لقد ساق الحافظ هذه الشواهد الثمان، وجزم بأنه يدل مجموعها على أن له أصلا. ولما كان من شروط الشواهد أن لا يشتد ضعفها وإلاّ لم يتقو الحديث بها كما قرره العلماء في "علم مصطلح الحديث"، وكان من الواجب أيضا أن تكون شهادتها كاملة، وإلاّ كانت قاصرة، لذلك كله كان لابد لي من إمعان النظر في هذه الشواهد أو ما أمكن منها من الناحيتين اللتين أشرت إليهما: قوة الشهادة وكمالها أو العكس، وتحرير القول في ذلك، فأقول: ثم ذكر أكثر طرق الحديث ..."([2])

ثم قال: وخلاصة القول: إن أكثر هذه الشواهد لا تصلح لتقوية الحديث بها، إما لشدة ضعف إسناده، وإما لاختصارها، اللهم إلا حديث عائشة، وحديث أنس

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٨، ص٣٤٢.

(٢) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٣٨٤، حديث: ١٦٤٠، بتصرف.

بطريقيه، فإنهما إذا ضما إلى إسناد حديث أبي هريرة اعتضد الحديث بمجموعها وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى، وقد صححه من سبق ذكره من العلماء."([1])

قلت : كان الشيخ ناصر يسلك مسلك المتشددين في الجرح والتعديل، كما فاته بعض الطريق التي لم يجدها كحديث البزار وغيره مما ذكرته من قبل. وأما قول الإمام الذهبي في الميزان والسير: فهو مردود على الذهبي (رحمه الله)، فليس هذا الحديث غريبا كما زعم!

وخالد بن مخلد إذا كان له مناكير لا يعني أن يكون هذا الحديث منها أصلا، لأنّ الإمام البخاري روى له ما لم ينكر عليه، وقد ذكر ابن عدى في ترجمته ما أنكر عليه، ولم يذكر هذا الحديث وقال: "قد اعتبرت حديثه ما روى عنه من الكوفيين محمد بن عثمان بن كرامة، ومن الغرباء أحمد بن سعيد الداري وعندي من حديثهما صدر صالح، ولم أجد في كتبه أنكر مما ذكرته، فلعله توهما منه أو حملا على الحفظ وهو عندي إن شاء الله لا بأس به".([2])

وقد حدّث عن خالد كبار أهل العلم منهم البخاري ومسلم وابن أبي شيبة وأبو داود في مسند مالك والترمذي والنسائي وابن ماجه.([3])

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٣٨٥، حديث:١٦٤٠، بتصرف.

(٢) ابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، ج٣، ص٣٦.

(٣) راجع ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ج٣، ص١١٦، ترجمة: ١١٨.

فهو ثقة له أفراد، وقد اعتمد حديث الولي وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، بل وسائر كتبه وفتاواه(١). وذكره في الفتاوى الكبرى واحتج به في مواضع عديدة(٢)، وفي الصارم المسلول(٣)، وأفرده العلامة الشوكاني بكتاب ضخم تخريجاً وشرحاً في كتابه النفيس "القطر الجلي شرح حديث الولي"(٤). بل هو مما تلقته الأمة بالقبول، واحتجّ به جميع الأئمة دون نكير، فيكون إجماعاً على صحّته.(٥)

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ج٢، ص٢٢٥، وج٢، ص٣٤٠، وج٢، ص٣٤١، وج٢، ص٣٧١، وج٢، ص٣٩٠، وج٢، ص٤٦٣، و ج٣، ص٤١٦، وج٥، ص٥١١ ، وج ٦ ، ص٤٨٣ ، وج٧ ، ص٤٤٢ وج ٨ ، ص ١٤٣، وج١٠ ، ص٧ ، وج١٠ ، ص ٣٠٥ وج ١٠، ص٦٨٢، وغيرها من المواضع.

(٢) انظرها في الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج١، ص٢٠٧ ، وج٣، ص ١٧٩، وج٧ ، ص٣٩٦ ، وج١٠ ، ص٣٨١.

(٣) انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وج١، ص١٧٢، وج١، ص٣٨٨.

(٤) وهو مطبوع ومحقق وأخذت به رسالة دكتوراه من الأزهر .

(٥) انظر مثلا: ابن حجر الهيتمي، أحمد بن علي السعدي، الفتاوى الفقهية الكبرى، جمعها: تلميذه الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية، ج٩، ص ١٥٨، والحاوي للفتاوى للسيوطي، ج٢، ص٣٤، والقول الجلي في حديث الولي ولقاءات الباب المفتوح، ج٥٩، ص١٢، ولقاءات الباب المفتوح، ج٦٦، ص١٩، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز، ج٨، ص ٢٥٢، وج١٠، ص٢٢٠، وج١٤، ص١٤٩، وفتاوى الإسلام سؤال وجواب، ج١، ص ١٩٠٨، سؤال رقم: ٢١١٧٠، وج١، ص١٩٧٣، سؤال رقم: ٢١٣٧١ ، وج١، ص ٢٩٧٤ ، سؤال رقم: ٢٧٢٣.=

٢. الشّكّ في أحاديث الصحيحين(١)

إن التعامل مع الصحيحين الذي ورد طرف منه في السؤال يجب التفريق فيه بين من له دراية بعلم الحديث وأهليته، وبين عامة الناس، بل ربما يقال حتى من طلبة العلم الذين ليس لديهم الأهلية في علم الحديث.

فأما المشتغلون بعلم الحديث فهؤلاء لهم أن يناقشوا قبول أي حديث حتى وإن كان في الصحيحين، ولكن ليس ببدعٍ من القول، وإنما على ضوء القواعد الحديثية المعروفة، ومن خلال كلام من تقدم من أهل العلم، وقد أشار الحافظ ابن حجر (رحمه الله) إلى ذلك في "مقدمة فتح الباري" وذكر أمثلة من الأحاديث المنتقدة على الصحيح، والإجابة عنها.

ومن أوائل من انتقد بعض أحاديث الصحيحين الإمام الدارقطني في "الإلزامات والتتبع".

ومع هذا الذي ذكرت فإنني أنبه إلى أمور:

أ- أن طالب العلم لا ينبغي له التعجل في هذا الباب والاستقلال بالحكم، فإن للصحيحين من المنزلة وتلقي الأمة لهما بالقبول ما ليس لغيرهما، ولذا فإنك تجد من علماء الحديث من لم يسلّم بهذه الانتقادات كلها سوى مواضع يسيرة منها كابن الصلاح، والنووي، وابن حجر وآخرين.

=وغيرها من المواضع الكثيرة. وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ج٢، ص٦٣، والدرر السنية في الأجوبة النجدية، الرقمية، ج٢، ص ١٨٦ والموسوعة الفقهية الكويتية، ج٣٢، ص١٥٣ وج٣٣، ص١٠٤، وج٣٩، ص٢٣٢، وج٤١، ص ١٠١.

(١) انظر: فتاوى واستشارات الإسلام اليوم، ج١، ص ٤٨٨، الشك في أحاديث الصحيحين، المجيب د. فهد بن عبدالرحمن اليحيى.

ب- أن الانتقاد الوارد على الصحيحين إنما هو في أحاديث معدودة نسبتها ضئيلة إلى جانب مجموع ما فيهما، ومع ذلك فكثير منها قد أجيب عنه كما تقدم.

ج- أن ما يمكن انتقاده على الصحيحين يكاد أن يكون قد فرغ منه، فقد مضى على تأليف الصحيحين أكثر من ألف عام، وما من حديث قد يتطرق إليه الانتقاد إلا ذكر خلال هذه المدة، وستجد في المقابل من يجيب عن الانتقاد سواء كان ذلك من جهة السند أو المتن.

د- وهو أمر مهم- أن الغالب في الانتقادات الواردة كانتقادات الدارقطني إنما هو من جهة السند الذي ساقه صاحب الصحيح، مع أن متن الحديث ثابت من طرق أخرى، وكثير منها يسلّم به المنتقد كالدارقطني. فإذاً لا يلزم من توجيه الانتقاد إلى حديث ما في أحد الصحيحين عدم ثبوته من وجه آخر.

هـ- أن النظر العقلي المحض وردّ الروايات الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل -فحسب- ليس من منهج أهل السنة، فإنهم -وإن كانوا قد يناقشون المتن منفرداً عن السند- بيد أنهم لا يطلقون العنان للعقل المجرد كي يردّ ما شاء من صحيح المنقول، وإنما ترد المناقشة عندهم في المتن -حين يقتضي الحال ذلك- على ضوء النصوص الأخرى والقواعد الحديثية والأصولية والفقهية.

ولئن كان هذا في شأن أهل العلم، فهو في حق العامة أولى، إذ ليس لهم أن يردوا الأحاديث بدعوى عدم موافقتها للعقل، وأي عقل هذا الذي يتحاكم إليه؟ فإن عقول الناس وفهومهم مختلفة متفاوتة! هذا ما يتعلق بالمتخصصين في هذا العلم.

أما غيرهم –لا سيما عامة الناس– فلا يجوز لهم الخوض في قضية القبول والرفض لما في الصحيحين، بل عليهم أن يأخذوا بالأصل، وهو: قبول ما في الصحيحين، لتلقي الأمة لهما بالقبول والتسليم بصحة ما فيهما في الجملة. والله –تعالى– أعلم.

٣. هل في البخاري أحاديث ضعفها الشيخ الألباني (رحمه الله)؟

"نعم... لقد ضعّف الشيخ الألباني أحاديث قليلة جداً في صحيح البخاري، ولكن لا يلزم من تضعيف الشيخ لها أن تكون ضعيفة بالفعل، بل قد تكون صحيحة كما ذهب إلى ذلك البخاري من قبل، وقد تكون ضعيفة فعلاً. فتضعيف الشيخ الألباني – عليه رحمة الله– اجتهاد منه، قابل للقبول والرد.

لكن العلماء قد نصوا أنّ أحاديث الصحيحين "صحيح البخاري وصحيح مسلم" كلها مقبولة، إلاّ أحاديث يسيرة انتقدها بعض النقاد الكبار، الذين بلغوا رتبة الاجتهاد المطلق في علم الحديث، وأن ما سوى تلك الأحاديث اليسيرة، فهي متلقاة بالقبول عند الأمة جميعها.

وبناء على ذلك: فإن الحديث الذي يضعفه الشيخ الألباني في صحيح البخاري له حالتان:

الأولى: أن يكون ذلك الحديث الذي ضعفه الألباني قد سبقه إلى تضعيفه إمام مجتهد متقدم، فهذا قد يكون حكم الشيخ الألباني فيه صواباً، وقد يكون خطأ، وأن الصواب مع البخاري.

الثانية: أن يكون الحديث الذي ضعفه الألباني لم يسبق إلى تضعيفه، فهذا ما لا يقبل من الشيخ (رحمه الله)؛ لأنه عارض اتفاق الأمة على قبول ذلك الحديث (كما سبق). والله أعلم. (١)

قلت: هذا هو الصواب.

(١) انظر فتاوى واستشارات الإسلام اليوم، ج١، ص ٤٨٤، هل في البخاري أحاديث ضعيفة المجيب د. الشريف حاتم بن عارف العوني عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، ج٦، ص٢٤٥٢، رقم الفتوى: ٤٣٤٢٨ المراد ليس الطعن في بعض أحاديث البخاري بل أمور أخطر بكثير.

المبحث الثالث: الإشكالات السبعة في هذا الحديث والإجابة عنها(١)

بالإضافة إلى الإشكال السابق وهو التشكيك في صحة حديث الولي، وقد ثبت بالدليل أنه ليس ضعيفا، بل هو حديث صحيح لا إشكال فيه، وردت بعض الإشكالات الأخرى في فهم هذا الحديث أوردها بإيجاز وأناقشها.

١. أن يقال كيف يعادي الإنسان الأولياء، والأولياء قد تركوا الدنيا وانفردوا عن الخلق، فإن جهل عليهم جاهل حلموا، والعداوة إنما تكون عن خصومة؟

٢. قوله: "فقدْ آذنْته بالْحرْب" وكيف يتصور الحرب بين الخالق والمخلوق والمحارب مناظر؟ وهذا المخلوق في أسر قبضة الخالق.

٣. قوله: "وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افْترضْت عليْه"، والعادة قد جرت بأن التقرب يكون بما لا يجب؛ كالهدايا إلى الملوك دون أداء الخراج، فإن مؤدي اللازم لا يكاد يحمد وإنما يشكر من فعل ما لا يجب.

٤. أن يقال: إذا كانت الفرائض أفضل القربات فكيف أثمرت النوافل المحبة ولم تثمرها الفرائض؟ ٥. قوله: "فإذا أحْببْته كنْت سمْعه الذي يسْمع به، وبصره الذي يبْصر به، ويده التي يبْطش بها ورجْله التي يمْشى بها" فما صورة هذا ؟.

٦. قوله: "وإنْ سألني لأعْطينّه، ولئن اسْتعاذني لأعيذنّه" وكم قد رأينا من عابدٍ وصالحٍ يدعو ويبالغ ولا يرى إجابة ؟.

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض:١٩٩٧م، ج١، ص١٠٠٧.

٧. قوله:"وما ترددْت عنْ شيء أنا فاعله ترددي عنْ نفْس الْمؤْمن" والتردد إنما يقع إذا أشكلت المصلحة في العواقب وذلك ينشأ عن ضعف التدبير، والحقّ (ﷻ) منزّهٌ عن ذلك؟.

والجواب المختصر على هذه الإشكالات

أمّا الإشكال الأول، فإنّ معاداة الأولياء يقع من أربعة أوجهٍ:

أ. أنْ يعاديهم الإنسان عصبيةً لغيرهم، كما يعادي الرافضيّ أبا بكرٍ وعمر.

ب. مخالفةٌ لمذهبهم، كما يعادي أهل البدع أحمد بن حنبلٍ.

ج. واحتقاراً لهم، فيكون الفعل بهم فعل الأعداء،كما كان بعض الجهّال يحصب أويساً القرنيّ.

د. وأنه قد يكون بين الولي وبين الناس معاملات وخصوماتٌ، وليس كلّ الأولياء ينفردون في الزوايا فربّ وليٍّ في السوق.

وأمّا الإشكال الثاني: فإنّ الإنسان إنما خوطب بما يعقل، ونهاية العداوة الحرب، ومحاربة الله (ﷻ) للإنسان أنْ يهلكه، وتقدير الكلام فقد تعرّض لإهلاكي إياه.

وأمّا الإشكال الثالث: فإنّ في أداء الواجبات احتراماً للأمر وتعظيماً للآمر، وبذلك الانقياد تظهر عظمة الربوبية، ويبين ذلّ العبودية.

وأمّا الرابع: فإنه لمّا أدى المؤمن جميع الواجبات ثم زاد بالتنفّل وقعت المحبّة لقصد التقرّب، لأنّ مؤدّى الفرض ربّما فعله خوفاً من العقاب، والمتقرّب بالنّفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة والقرب، فيثمر له ذلك مقصوده.

وأمّا الخامس فإنّ قوله: "فإذا أحْبَبْته كنْت سمْعه الذي يسْمع به، وبصره الذي يبْصر به، ويده التي يبْطش بها ورجْله التي يمْشى بها" مثلٌ وله أربعة أوجهٍ:

١. كنت كسمعه وبصره في إيثاره أمري، فهو يحبّ طاعتي، ويؤثر خدمتي،كما يحبّ هذه الجوارح.

٢. أنّ كليته مشغولةٌ، فلا يصغي بسمعه إلّا إلى ما يرضيني ولا يبصر إلا عن أمري.

٣. أنّ المعنى أني أحصّل له مقاصده كما يناله بسمعه وبصره.

٤. كنت له في العون والنّصرة كبصره ويده اللذين يعاونانه على عدوّه.

وأمّا السّادس: فإنه ما سئل وليٌّ قطّ إلا وأجيب، إلا أنه قدْ تؤخّر الإجابة لمصلحةٍ، وقد يسأل ما يظنّ فيه مصلحةً، ولا يكون فيه مصلحةٌ، فيعوّض سواه.

وأمّا السابع: فجوابه منْ وجهين:

١. أنْ يكون التردّد للملائكة الذين يقبضون الأرواح، فأضافه الحقّ (ﷻ) إلى نفسه لأنّ ترددهم عن أمره كما قال تعالى:{وما نتنزّل إلّا بأمْر ربّك له ما بيْن أيْدينا وما خلْفنا وما بيْن ذلك وما كان ربّك نسيًّا} (مريم: ٦٤)، وتردّد الملائكة إنما يكون لإظهار كرامة الآدميّ كما تردّد ملك الموت إلى آدم وإبراهيم وموسى ونبيّنا (ﷺ).

فأمّا أنْ يكون التردد لله فمحالٌ في حقّه، وهذا مذهب الخطابيّ، فإن اعترض على هذا، فقيل: متى أمر الملك بقبض الرّوح لم يجزْ له التردد، فكيف يتردد؟

فالجواب منْ وجهين:

أحدهما: أن يكون إنما تردد فيما لم يجزمْ له فيه على وقتٍ، كما روي" أنه لما بعث ملك الموت إلى الخليل قيل له تلطف بعبدي"(١).

والثاني: أن يكون تردد رقّةٍ ولطفٍ بالمؤمن، لا أنه يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدْر المؤمن من احترمه فلم تنبسطْ يده لقبض روحه، وإذا ذكر أمر الإله لم يكنْ له بدٌّ في امتثاله.

٢. أنه خطابٌ لنا بما نعقل وقدْ تنزه الربّ (ﷻ) عن حقيقته كما قال:"وإنْ أتاني يمْشى أتيْته هرْولةً" (٢).

فكما أنّ أحدنا يتردد في ضرب ولده فيأمره التأديب بضربه وتمنعه المحبّة، فإذا أخبر بالتردد فهمْنا قوة محبته له بخلاف عبده، فإنه لا يتردد في ضربه، فأريد تفهيمنا تحقيق المحبّة للوليّ بذكر التردد، ومن الجائز أنْ يكون تركيب الوليّ يحتمل خمسين سنةً، فيدعو عند المرض فيعافى ويقوى تركيبه فيعيش عشرين أخرى، فتغيير التركيب والمكتوب من الأجل كالتردد، وذلك ثمرة المحبّة."

(١) لم أجده

(٢) عنْ أبي هريْرة (ﷺ) قال قال النبي، (ﷺ)،:«يقول اللّه تعالى أنا عنْد ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفْسه ذكرْته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرْته في ملأٍ خيْرٍ منْهمْ، وإنْ تقرّب إليّ بشبْرٍ تقرّبْت إليْه ذراعًا، وإنْ تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبْت إليْه باعًا، وإنْ أتاني يمْشى أتيْته هرْولةً». انظر البخاري، الصحيح، ، حديث: ٧٤٠٥.

المبحث الرابع: مفهوم الولاية في القرآن الكريم

قال تعالى: {اللّه وليّ الّذين آمنوا يخْرجهمْ من الظّلمات إلى النّور والّذين كفروا أوْلياؤهم الطّاغوت يخْرجونهمْ من النّور إلى الظّلمات أولئك أصْحاب النّار همْ فيها خالدون} (البقرة:٢٥٧)

أي: "الله وليّ الذين آمنوا واتّبعوا رضْوانه، فيخْرجهمْ منْ ظلمات الكفْر والشّكّ والرّيب إلى نور الحقّ الواضح. والمؤْمن لا وليّ له، ولا سلْطان لأحدٍ على اعْتقاده إلاّ الله تعالى. أمّا الذين كفروا فوليّهم الشّيْطان، يزيّن لهمْ ما همْ فيه من الضّلالة والجهالة، ويخْرجهمْ عنْ طريق الحقّ ونوره، إلى الكفْر وظلماته، ويؤدّي بهمْ إلى نار جهنّم ليبْقوا فيها خالدين أبداً. والنّور هو الحقّ، والحقّ واحدٌ، أمّا الظّلمات وهي الكفْر فهي أجْناسٌ".(١)

وقال تعالى: {إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤْتون الزّكاة وهمْ راكعون * ومنْ يتولّ اللّه ورسوله والّذين آمنوا فإنّ حزْب اللّه هم الْغالبون} (المائدة:٥٥-٥٦)

وقال تعالى: {والْمؤْمنون والْمؤْمنات بعْضهمْ أوْلياء بعْضٍ يأْمرون بالْمعْروف وينْهوْن عن الْمنكر ويقيمون الصّلاة ويؤْتون الزّكاة ويطيعون اللّه ورسوله أوْلئك سيرْحمهم اللّه إنّ اللّه عزيزٌ حكيمٌ} (التوبة:٧١)

---

(١) أسعد حومد، أيسر التفاسير، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com ، ج١، ص٢٦٤.

يحثّ الله تعالى المؤْمنين على موالاة الله ورسوله والمؤْمنين الصّادقين، الذين يقيمون الصّلاة ويؤدّون زكاة أمْوالهمْ، ويساعدون المحْتاجين من الضعفاء والمساكين، وهمْ دائمون الرّكوع لله.

(نزلْت هذه الآية في عبادة بْن الصّامت حين برئ منْ موالاة اليهود، ورضي بموالاة الله ورسوله). وكلّ منْ رضي بموالاة الله ورسوله والمؤمنين هو مفْلحٌ في الدّنْيا والآخرة، وهو منْصورٌ في الدّنْيا والآخرة، لأنّه يكون في حزْب الله، وحزْب الله هم الغالبون، ولا يغْلب منْ يتوالاّهم الله.([1])

وقال تعالى: {ذلك بأنّ اللّه موْلى الّذين آمنوا وأنّ الْكافرين لا موْلى لهمْ} (محمد:١١).

لقدْ دمّر الله على الكافرين، ونجّى المؤْمنين وأظْهرهمْ على الكافرين، لأنّ الله موْلى الذين آمنوا وصدّقوا رسوله وأطاعوه، وهو ناصرهمْ وحافظهمْ، ولأنّ الكافرين لا ناصر لهمْ فيدْفع عنْهم العقوبة والعذاب.([2])

وقال تعالى: {النّبيّ أوْلى بالْمؤْمنين منْ أنفسهمْ وأزْواجه أمّهاتهمْ وأوْلو الْأرْحام بعْضهمْ أوْلى ببعْضٍ في كتاب اللّه من الْمؤْمنين والْمهاجرين إلّا أن تفْعلوا إلى أوْليائكم مّعْروفًا كان ذلك في الْكتاب مسْطورًا} (سورة الأحزاب:٦)

---

(١) أسعد حومد، أيسر التفاسير، ج١، ص٧٢٦، والتفسير الميسر، ج٢ ، ص ٢٢٩، وتفسير السعدي، ج١، ص ٢٣٦.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٤٤٣٥، والتفسير الميسر، ج٩، ص١٧١، وتفسير السعدي، ج١، ص٧٨٥.

جعل الله الرّسول (ﷺ) أوْلى بالمؤْمنين منْ أنْفسهمْ، وولايته مقدّمةً على ولايتهمْ على أنْفسهمْ، لأنّه (عليه السلام) لا يأمرهمْ إلاّ بما فيه خيْرهمْ وصلاحهمْ، أمّا النّفْس فأمّارةٌ بالسّوء، وقدْ تجْهل بعْض المصالح. وجعل أزْواج النّبيّ في مقام الأمّهات للْمؤْمنين في الحرْمة والاحترام. وكان التّوارث في بدْء الإسْلام بالحلْف والمؤاخاة بين المسلمين، فكان المتآخيان يتوأرثان (وإنْ كانا مخْتلفين نسباً) دون سائر الأقْرباء، فأبْطل الله تعالى هذا التّعامل في هذه الآية، وردّ الميراث إلى أقْرباء النّسب، فجعل أولي الأرْحام بحقّ القرابة، أولى بالميراث من المؤمنين بحقّ الدّين، والمهاجرين بحقّ الهجْرة. واسْتثْنى الله تعالى منْ هذا الحكْم الوصيّة (المعْروف)، التي يريد أحدهمْ أنْ يوصي بها إلى أحد المهاجرين والمؤْمنين (أوْليائكمْ) فإنّه في هذه الحال يسْتحقّها دون ذوي الحقوق في الميراث منْ أقْرباء النّسب.(١)

ثمّ قال تعالى: إنّ جعْل ذوي الأرْحام بعْضهمْ أوْلى ببعْضٍ في الميراث هو حكْمٌ قدّره الله تعالى، وأثْبته في كتابه الذي لا يبدّل ولا يغيّر.

وقال تعالى: {ألا إنّ أوْلياء اللّه لا خوْفٌ عليْهمْ ولا همْ يحْزنون * الّذين آمنوا وكانوا يتّقون * لهم الْبشْرى في الْحياة الدّنْيا وفي الْآخرة لا تبْديل لكلمات اللّه ذلك هو الْفوْز الْعظيم} (يونس:٦٢-٦٣}

يخْبر الله تعالى أنّ أوْلياءه، وهم الذين آمنوا واتّقوا وأخْلصوا العبادة له وحْده، والتّوكل عليْه، لا خوْفٌ عليهمْ ممّا يسْتقْبلونه منْ أهْوال الآخرة، ولا يحْزنون على ما خلّفوه وراءهمْ في الدّنْيا.

(١) أيسر التفاسير، لأسعد حومد، ج١، ص٣٤٢٠، وتفسير السعدي، ج١، ص ٦٥٩.

ويقول تعالى معرّفاً (أوْلياء الله): بأنّهم الذين آمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله، وكانوا يتّقون الله في جميع أمورهمْ، ويراقبونه في سرّهمْ وعلانيّتهمْ، فلا يقومون إلاّ بما يرْضي الله ربّهمْ.(١)

وقال تعالى: {إنّ وليّي اللّه الّذي نزّل الْكتاب وهو يتولّى الصّالحين} (الأعراف:١٩٦). إنّ الله حسْبي، وهو متولّي أمْري وناصري في الدّنْيا والآخرة، وهو يتولّى نصْر كلّ صالحٍ منْ عباده، وهو الذي نزّل القرْآن بالحقّ عليّ (الكتاب).

(١) المرجع السابق، ج١، ص ١٤٢٨، وتفسير السعدي، ج١، ص ٣٦٨.

المبحث الخامس: معاداة أولياء الله تعالى مؤذنةٌ بالحرب من الله

قوله (ﷺ): "منْ عادى لي وليًّا فقدْ آذنْته بالْحرْب" يعني: فقد أعلمته بأنّي محاربٌ له، حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي(١)، ولهذا جاء في حديث عائشة: "فقد استحل محاربتي" وفي حديث أبي أمامة وغيره: "فقد بارزني بالمحاربة"، وعن معاذ بن جبلٍ، سمع النّبيّ (ﷺ)، يقول: «إنّ يسير الرّياء شرْكٌ وإنّ منْ عادى للّه وليًّا فقدْ بارز اللّه بالْمحاربة إنّ اللّه يحبّ الأبْرار الأتْقياء الأخْفياء الّذين إذا غابوا لمْ يفْتقدوا وإنْ حضروا لمْ يدْعوْا ولمْ يعْرفوا قلوبهمْ مصابيح الْهدى يخْرجون منْ كلّ غبْراء مظْلمة»(٢).

---

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص٤١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة، في سننه، موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org، برقم: ٣٩٨٩ والطبراني في "المعجم الكبير " ج٢٠، ص٣٢١، والحاكم في المستدرك، ج٤، ص٣٢٨ ، وحلية الأولياء، ج١، ص٥و ص١٥، و٣ج، ص٢٤٨، والإتحاف، ج٣، ص١٤٤ ومشكل الآثار، ج٢، ص٣١٧ وشعب الإيمان، حديث: ٦٨١٢ وك ١/٤ و٣٢٨/٤ وطص ٤٥/٢ وترغيب، ج١، ص٦٨ وج٣، ص٤٤٤ وج٤، ص١٥٤ والزهد للبيهقي حديث: ١٩٥ والشهاب ج٢ ، ص١٤٨و ج٢، ص٢٥٢، والإتحاف، ج٨، ص٢٣٦ وص٢٦٤ ، وصفة، ص٥٠٠ وكر، ج٦، ص٢٢٥، والخمول برقم:٨ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والمنذري لكنه فيه إشكال فقد ورد من طريق الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به وهذا إسناد صحيح. =

= ومن طريق نافع بن يزيد عن عباس بن عياش عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه به ومن طريق ابن لهيعة عن عيسى عن زيد بن أسلم به وعيسى بن عبد الرحمن هذا الزرقى متروك التقريب ترجمة: ٥٣٠٦ من السابعة.

والليث بن سعد أحفظ من نافع بن يزيد ومن ابن لهيعة فلم يذكر فيه عبد الرحمن، وإنما يرويه عياش بن عباس عن زيد بن أسلم به.

وقد روى عياش عن سالم أبى النضر وبكير الأشج وأبى عبد الرحمن الحبلى، وعيسى بن هلال وكليب بن صبيح وأبى الحصين الحميرى وأبى الخير مرثد اليزنى وجماعة وهو ثقة ولم يوصف بتدليس ومات سنة ١٣٣هـ. انظر: التهذيب، ج٨، ص١٩٧-١٩٨، وسالم مدني وبكير الأشج مدني نزل بمصر، وزيد بن أسلم مات سنة ١٣٦هـ، أي بعده فهو معاصر له. وأقدم شيخ لعياش: الهيثم بن شفى أبو الحصين الحجري المصري ثقة من الثانية.

وأنا لا أستبعد أن يكون قد سمع من أبي زيد وهو أسلم وكل مشايخه ثقات، فلا يمكن أن يترك حديث زيد بن أسلم مباشرة ويسمعه بواسطة ذلك النكرة !. فالحديث صحيح.

وهناك ملحوظة أخرى وهي أن عيسى بن عبد الرحمن روى عن زيد بن أسلم، مات زيد سنة ١٣٦هـ، وعن عيسى بن أبى موسى وعن الزهري ومات الزهري سنة ١٢٤هـ والذين رووا عنه ابن لهيعة ومات ١٦٩هـ، ومعن بن عيسى بن سبرة فإن كان صاحب مالك فقد مات سنة ١٩٨هـ وأبو داود الطيالسي المتوفى ٢٠٤هـ ومحمد بن شعيب بن شابور المتوفى ٢٠٠هـ، فكيف يروى عنه عياش وعياش مات سنة ١٣٣هـ؟ والصحيح أن الذي روى عنه هو ابنه وليس هو فقد قال الحافظ في التهذيب، ٨ج، ص٢١٨ : "وروى عنه: عبد الله ابن عيسى القتباني وهو عبد الله بن عياش بن عباس القتباني روى عن أبيه ويزيد بن أبى حبيب وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعبيد الله بن أبي جعفر والزهري وأبي عشانة المعافري وغيرهم. ومات سنة ١٧٠هـ". انظر: التهذيب، ج٥، ص٣٥١.

وقال الشيخ ابن عثيمين: "المعاداة: هي المباعدة وهي ضد الموالاة والولي بينه الله (ﷻ) في قوله:{ألا إنّ أوْلياء اللّه لا خوْفٌ عليْهمْ ولا همْ يحْزنون * الّذين آمنوا وكانوا يتّقون} (يونس:٦٢-٦٣)، هؤلاء هم أولياء الله {الذين آمنوا} أي: حققوا الإيمان في قلوبهم بكل ما يجب الإيمان به {وكانوا يتقون} أي حققوا العمل الصالح بجوارحهم فاتقوا جميع المحارم من ترك الواجبات أو فعل المحرمات فهم جمعوا بين صلاح الباطن بالإيمان وصلاح الظاهر بالتقوى هؤلاء هم أولياء الله، وليست ولاية الله (ﷻ) تأتي بالدعوى كما يفعله بعض الدجالين الذين يموهون على العامة بأنهم أولياء لله وهم أعداء لله.. فالذي يعادي أولياء الله يقول الله (ﷻ): فقد آذنته بالحرب يعني أعلنت عله الحرب، فالذي يعادي أولياء الله محارب لله (ﷻ)، ومن حارب الله فهو مهزوم مخذول لا تقوم له قائمة." (١)

فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أنّ أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تعالى: {يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكمْ أوْلياء تلْقون إليْهم بالْمودّة وقدْ كفروا بما جاءكم منّ الْحقّ يخْرجون الرّسول وإيّاكمْ أن تؤْمنوا باللّه ربّكمْ إن كنتمْ خرجْتمْ جهادًا في سبيلي وابْتغاء مرْضاتي تسرّون إليْهم بالْمودّة وأنا أعْلم بما أخْفيْتمْ وما أعْلنتمْ ومن يفْعلْه منكمْ فقدْ ضلّ سواء السّبيل} (سورة الممتحنة: ١) (٢)، وقال تعالى: { إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين

(١) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، موقع جامع الحديث النبوي، http://www.sonnhonline.com، ج١، ص٤١٥.

(٢) هذه الآية نزلتْ في حاطب بْن أبي بلْتعة، وكان حاطبٌ منْ أهْل بدْرٍ، هاجر منْ مكّة... أيسر التفاسير لأسعد حومد، ج١، ص٥٠٢٩.

آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤْتون الزّكاة وهمْ راكعون * ومنْ يتولّ اللّه ورسوله والّذين آمنوا فإنّ حزْب اللّه هم الْغالبون} (المائدة:٥٥-٥٧)، ووصف أحبّاءه الذين يحبهم ويحبونه بقوله تعالى:{يا أيّها الّذين آمنواْ من يرْتدّ منكمْ عن دينه فسوْف يأْتي اللّه بقوْمٍ يحبّهمْ ويحبّونه أذلّةٍ على الْمؤْمنين أعزّةٍ على الْكافرين يجاهدون في سبيل اللّه ولا يخافون لوْمة لآئمٍ ذلك فضْل اللّه يؤْتيه من يشاء واللّه واسعٌ عليمٌ} (سورة المائدة:٥٤). ([1])

وروى الإمام أحمد في كتاب "الزهد" بإسناده عن وهب ابن منبّه، قال: إنّ الله تعالى قال لموسى (عليه السلام) حين كلمه: اعلم أنّ منْ أهان لي وليّاً، أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة، وبادأني، وعرّض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيءٍ إلى نصرة أوليائي، أفيظنّ الذي يحاربني أنْ يقوم لي؟ أو يظنّ الذي يعازّني أنْ يعجزني؟ أم يظنّ الذي يبارزني أنْ يسبقني أو يفوتني؟ وكيف وأنا الثّائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري.([2])

واعلم أنّ جميع المعاصي محاربة لله (عزّ وجلّ)، قال الحسن: ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقةٍ؟ فإنّ منْ عصى الله، فقد حاربه.([3])

---

(١) كتاب حديث أبي الفضل الزهري، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، مكتبة أضواء السلف، بالرياض، سنة ١٤١٨ هـ. موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com، حديث: ٥٩٨ مطولا.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، حديث: ٣٤٢، عن وهب بن منبه، به، وهو جزء من حديث طويل ، وإسناده حسن إلى وهب.

(٣) كتاب حديث أبي الفضل الزهري، حديث: ٥٩٨ مطولا

لكن كلّما كان الذّنب أقبح كانت المحاربة لله أشدّ، ولهذا سمّى الله تعالى أكلة الرّبا، وقطّاع الطّريق محاربين لله تعالى ورسوله؛ لعظيم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه، فإنّه تعالى يتولّى نصرة أوليائه، ويحبهم ويؤيّدهم، فمنْ عاداهم، فقد عادى الله وحاربه، عنْ عبْد اللّه بْن مغفّلٍ قال قال رسول اللّه (ﷺ): «اللّه اللّه في أصْحابي اللّه اللّه في أصْحابي لا تتّخذوهمْ غرضًا بعْدي فمنْ أحبّهمْ فبحبّي أحبّهمْ ومنْ أبْغضهمْ فببغضي أبْغضهمْ ومنْ آذاهمْ فقدْ آذاني ومنْ آذاني فقدْ آذى اللّه ومنْ آذى اللّه فيوشك أنْ يأْخذه» خرّجه الترمذي(١).

"وقدْ اسْتشْكل وقوع الْمحاربة وهي مفاعلةٌ منْ الْجانبيْن مع أنّ الْمخْلوق في أسْر الْخالق، والْجواب أنّه منْ الْمخاطبة بما يفْهم، فإنّ الْحرْب تنْشأ عنْ الْعداوة والْعداوة تنْشأ عنْ الْمخالفة وغاية الْحرْب الْهلاك واللّه لا يغْلبه غالبٌ، فكأنّ

(١) انظر الترمذي، السنن، حديث: ٤٢٣٦ وأحمد، المسند، ج٤، ص٨٧، وأبو داود، السنن، ج٥، ص٥٤ وص٥٥ وص٥٧ وص٧٤. والبيهقي، شعب الإيمان، حديث:١٥١١ والحلية، ج٨، ص٢٨٧ والسنة، ج١٤، ص٧٠ وابن عدي، ج٤، ص١٤٨٥، والخطيب، ج٩، ص١٢٣ وابن حبان، حديث: ٢٢٨٤ والفضائل لأحمد، حديث: ١و٢ و٣ و٤، والروياني، حديث:٨٨٢ والبخاري في التاريخ، ج٥، ص١٣١، وجامع الأصول، ج٨، ص٥٥٣، وهو حديث حسن.
وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي قال: البخاري: فيه نظر. وقال ابن معين: صويلح وفى رواية ضعيف وفى رواية ليس به بأس يكتب حديثه وقال النسائي: ليس بالقوى. انظر: ابن عدي، ج٤، ص١٦٧-١٦٨. ووثقه ابن حبان وابن المديني والعجلي، انظر التهذيب، ج٥، ص٢٩٨، والجامع، حديث: ٢٢١٨.

الْمعْنى فقدْ تعرّض لإهْلاكي إيّاه. فأطْلق الْحرْب وأراد لازمه أيْ أعْمل به ما يعْمله الْعدوّ الْمحارب.

قال الْفاكهانيّ: "في هذا تهْديدٌ شديدٌ، لأنّ منْ حاربه اللّه أهْلكه، وهو منْ الْمجاز الْبليغ، لأنّ منْ كره منْ أحبّ اللّه خالف اللّه ومنْ خالف اللّه عانده ومنْ عانده أهْلكه، وإذا ثبت هذا في جانب الْمعاداة ثبت في جانب الْموالاة، فمنْ والى أوْلياء اللّه أكْرمه اللّه". وقال الطّوفيّ: "لمّا كان وليّ اللّه منْ تولّى اللّه بالطّاعة والتّقْوى تولّاه اللّه بالْحفْظ والنّصْرة، وقدْ أجْرى اللّه الْعادة بأنّ عدوّ الْعدوّ صدّيقٌ وصدّيق الْعدوّ عدوٌّ، فعدوّ وليّ اللّه عدوّ اللّه فمنْ عاداه كان كمنْ حاربه ومنْ حاربه فكأنّما حارب اللّه".(١)

" قال صاحب الإفصاح: في هذا الحديث من الفقه أن الله (ﷻ) قدم الإعذار إلى كل من عادى ولياً، أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة، وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالى فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله (ﷻ) ومعنى المعاداة أن يتخذه عدواً.

ولا أرى المعنى إلا من عاداه لأجل ولاية الله، وأما إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعاً بين وليين لله محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق غامض، فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث، فإنه قد جرى أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) خصومة، وبين العباس وعلي (رضي الله عنهما) وبين كثير من الصحابة وكلهم كانوا أولياء الله (ﷻ)."(٢)

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٨، ص٣٤٢، وعطية سالم، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ج٨، ص٤.

(٢) عطية سالم، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ج١، ص٣٤، وبنحوه في فيض القدير، شرح الجامع الصغير حيث: ١٧٥٢

ومن هنا يقول العلماء: (من عادى لي ولياً)، ليس منه المطالبة بحق شرعي، ولنأت إلى سر الحديث وإلى البلاغة التي تشم ولا تلمس في هذا اللفظ النبوي الكريم، (من عادى لي ولياً)، ولم يقل: من عادى ولياً لي، بل (من عادى لي ولياً)، فهل تجدون فيها فرقاً أم لا؟ الذوق البلاغي هنا: بتقديم (لي) على (ولياً)، فإن تقديم الجار والمجرور هنا، وإضافته إلى المولى سبحانه يشعر بأن المحاربة تكون لمن عادى الولي لكونه ولياً لله، أما لو قال: (من عادى ولياً لي)، فقد يكون هذا الولي عنده ما يوجب المعاداة، لكن (من عادى لي)، يعني: من أجلي وبسببي وباسمي، فمن عاداه وهو ينتمي إليّ فقد آذنته بالحرب، والحديث في بلاغته يشعر بأن العداوة المنهي عنها والمحذر منها هي أن يعاديه لكونه ولياً لله، ومن الذي يعادي ولي الله لولايته لله؟ نعلم جميعاً أن ولاية الله لا تحصل بالمعصية والفسوق والخروج على كتاب الله وسنة رسوله، ولا بمخالفة الإجماع وشق عصا المسلمين، فهذا الحديث -كما يتفق العلماء- يعتبر فاصلاً بين الحق والباطل.([1])

١. منْ صفات أولياء الرحمن([2])

منْ شهد له محمّدٌ (ﷺ) بأنّه منْ أوْلياء اللّه فهو منْ أوْلياء الرّحْمن، ومنْ شهد له بأنّه منْ أعْداء اللّه فهو منْ أوْلياء الشّيْطان.

(١) ابن تيمية الحراني، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام، تحقيق الشيخ علي الشحود، ج١، ص٣٤.

(٢) ابن تيمية الحراني، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام، ص١٣٨.

وقدْ بيّن (ﷻ) في كتابه وسنّة رسوله (ﷺ) أنّ للّه أوْلياء منْ النّاس وللشّيْطان أوْلياء، ففرّق بيْن أوْلياء الرّحْمن وأوْلياء الشّيْطان، فقال تعالى:{ ألا إنّ أوْلياء اللّه لا خوْفٌ عليْهمْ ولا همْ يحْزنون * الّذين آمنوا وكانوا يتّقون * لهم الْبشْرى في الْحياة الدّنْيا وفي الْآخرة لا تبْديل لكلمات اللّه ذلك هو الْفوْز الْعظيم }(يونس:٦٢-٦٥).

٢. صفات أولياء الشيطان(١)

وذكر الله تعالى "أوْلياء الشّيْطان": { فإذا قرأْت الْقرْآن فاسْتعذْ باللّه من الشّيْطان الرّجيم * إنّه ليْس له سلْطانٌ على الّذين آمنوا وعلى ربّهمْ يتوكّلون * إنّما سلْطانه على الّذين يتولّوْنه والّذين همْ به مشْركون} (النحل: ٩٨-١٠١)، وقال تعالى:{ الّذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّه والّذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت فقاتلوا أوْلياء الشّيْطان إنّ كيْد الشّيْطان كان ضعيفًا (٧٦) } (النساء:٧٦)، وقال تعالى: {وإذْ قلْنا للْملائكة اسْجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبْليس كان من الْجنّ ففسق عنْ أمْر ربّه أفتتّخذونه وذرّيّته أوْلياء من دوني وهمْ لكمْ عدوٌّ بئْس للظّالمين بدلًا} (سورة الكهف:٥٠)، وقال تعالى:{ ومنْ يتّخذ الشّيْطان وليًّا منْ دون اللّه فقدْ خسر خسْرانًا مبينًا* يعدهمْ ويمنّيهمْ وما يعدهم الشّيْطان إلّا غرورًا * أولئك مأْواهمْ جهنّم ولا يجدون عنْها محيصًا} (النساء: ١١٩-١٢١) }. وقال تعالى: { الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدْ جمعوا لكمْ فاخْشوْهمْ فزادهمْ إيمانًا وقالوا حسْبنا اللّه ونعْم الْوكيل * فانْقلبوا بنعْمةٍ من اللّه وفضْلٍ لمْ يمْسسْهمْ سوءٌ واتّبعوا رضْوان اللّه واللّه ذو فضْلٍ عظيمٍ * إنّما ذلكم الشّيْطان يخوّف أوْلياءه فلا تخافوهمْ وخافون إنْ كنْتمْ مؤْمنين } (آل عمران: ١٧٣-١٧٥)

(١) المرجع السابق، ص ١٣٩، وص١٤٣.

٣. الموالاة والمعاداة قائمان على الحبّ والبغض(١)

لا شك أن الولاء والبراء مبنيان على قاعدة: الحب والبغض، فينبغي للداعية أن يوضح للناس ويحضهم على الموالاة والمعاداة وتكون على ثلاثة أوجه:

أ- من يحب محبة كاملة: وهذه المحبة للمؤمنين المتقين: من الأنبياء والمرسلين وعباد الله المحسنين القائمين بجميع ما أمر الله به، المبتعدين عن جميع ما نهى الله عنه.

ب- من يحب من وجه ويكره من وجه؛ لأنّه قد يجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه آخر وهذا هو المسلم الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادي على قدر ما معه من الشر.

ج- من يبغض من كل وجه: وهو من كفر بالله (ﷻ)، فيجب بغضه بالقلب كاملًا لازمًا لا نقص فيه، أما بالبدن والأعمال فعلى حسب القدرة ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة لا نقص فيها، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفعل الكامل إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين

(١) انظر سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ، ج٣ ، ص ٣٣.

الخاتمة

١- بيان فضل أولياء الله، وشدّة خطر معاداتهم، أنّ ولاية الله (ﷻ) تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.

٢- إثبات صفة المحبّة لله (ﷻ) وأنّ أداء الفرائض هو أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، وذلك لما فيها من إظهار عظمة الربوبية، وذلّ العبودية.

٣- أنّ فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلب محبّة الله (ﷻ)، أنّ محبّة الله (ﷻ) تجلب للعبد إجابة دعائه وإعاذته ممّا يخاف.

٤- أنّ ثواب الله (ﷻ) للعبد يكون بإجابة مطلوبة والسلامة من مرهوبة.

٥- أن الله (ﷻ) قدّم الإعذار إلى كلّ منْ عادى وليًّا أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة.

٦- أن أولياء الله تعالى هم الذين يتقربون إليه بما يقرّبهم منه من الإيمان والأعمال الصالحة، فظهر بذلك بطلان دعوى أن هناك طريقا إلى الولاية غير التقرب إلى الله تعالى بطاعاته التي شرعها.

٧- أنّ العبد -ولو بلغ أعلى الدرجات- لا ينقطع عن الطلب من ربّه لما في ذلك من الخضوع له، وإظهار العبودية له وأنه يجب علينا أن نحبّ لله، ونبغض لله، ونوالي في الله، ونعادي في الله.

٨- أولياء الله تعالى ليسوا بمعصومين، فقد يقعون في المعصية.

٩- أنّ الأنبياء أفضل الأولياء، وأفضلهم أولي العزم من الرسل، وأفضلهم سيدنا محمدٌ (ﷺ).

١٠- أولياء الله تعالى موجودون في كل زمان ومكان، ولا يوجد شيء يميزهم عن غيرهم سوى طاعتهم لله تعالى واتباعهم لمنهجه.

١١- ليس بشرط أن تجري على أيديهم كرامات، فخوارق العادات قد تكون كرامة من الله تعالى لعبد من عباده الصالحين، وقد تكون استدراجاً والعياذ بالله.

١٢- لا يجوز الطعن بأحاديث الصحيحين، لأنها بلغت القنطرة، وهي أصح الأحاديث على الإطلاق.

١٣- لا يجوز التسرع بالحكم على الأحاديث، أو ردّها لا سيما إذا كانت مما تلقته الأمة بالقبول.بل يجب اتباع الطريق الذي سار عليه أهل العلم في هذا من الاحتياط التام.

١٤- أحاديث البخاري أصحّ الأحاديث في السنة النبوية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

• ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، مُصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة.

• ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت: ١٩٧٩م.

• ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض:١٩٩٧م.

• ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية، مطبعة أنصار السنة المحمدية.

• ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر، حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

• ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

• ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني، مختصر منهاج السنة، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، الفتاوى الحديثة، طبعة دار المعرفة.

• ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، الفتاوى الحديثية، مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية،

• ابن حجر الهيتمي، أحمد بن علي السعدي، الفتاوى الفقهية الكبرى، جمعها: تلميذه الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية.

• ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة الأولى.

• ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

• ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، موقع جامع الحديث النبوي، http://www.sonnhonline.com،

• ابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

• ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

• ابن ماجة، سننه، موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org،

• ابن منظورن محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

• أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد، نشر السعادة،

• أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م.

• أحمد بن حنبل، المسند، موسوعة الحديث، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org،

• أسعد حومد، أيسر التفاسير، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com

الألباني، محمد ناصر الدين الأشقودري، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت.

• الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م.

• البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، موسوعة الحديث، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org،

• البعليّ، محمد بن علي، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

• ثم صورتها عدة دور منها، دار الكتاب العربي، بيروت.

• الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، طبعة دار التراث.

• الرملي، أحمد بن حمزة الأنصاري، فتاوى الرملي، جمعها: ابنه، محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، المكتبة الإسلامية.

• الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

• سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ،

• الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

• الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية: ١٩٨٣م.

• عبد الرزاق، بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

• القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م.

• كتاب حديث أبي الفضل الزهري، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، مكتبة أضواء السلف، بالرياض، سنة ١٤١٨هـ، موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com،

- مسلم بن الحجاج، الصحيح، موسوعة الحديث، وزارة الأوقاف، مصر، www.islamic,council.org،
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة: من ١٤٠٤ه، ١٤٢٧هـ.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، بستان العارفين، دار الريان للتراث.